قصة الكتاب المقدس في ١٦ آية

كريس برونو

قصَّـــة
الكتاب المقدس في
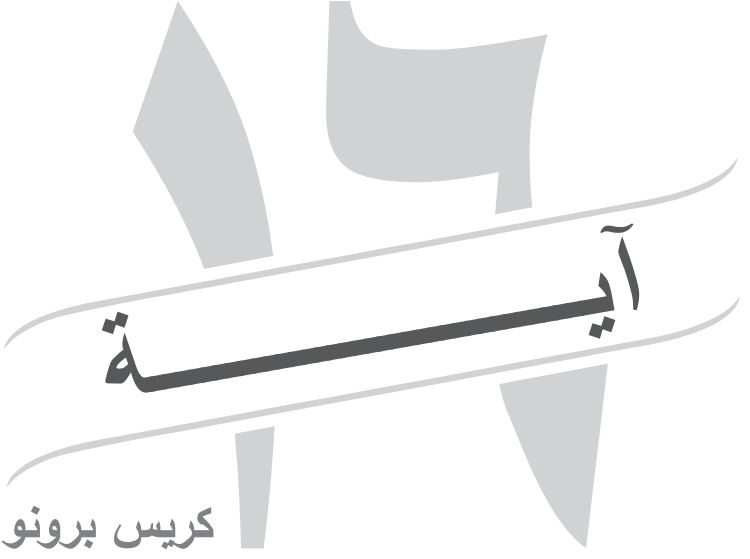
آيـــــة

كريس برونو

"كيف تُجيب عن هذا السؤال: ما هي الرسالة الرئيسية للكتاب المقدس؟ وكيف يُجيب الكتاب المقدس عن هذا السؤال؟ يستخرج برونو أجوبة تفصيلية على هذه الأسئلة من الكتاب المقدس، معرِّفًا قارئيه باللاهوت الكتابي، ومتتبِّعًا على نحو منهجي الأحداث الفاصلة الرئيسية لتاريخ الفداء، كي يضيء أمامنا خط الإنجيل، ويربط الكلَّ معًا. وسواء كنتَ حديث العهد في قراءة الكتاب المقدس، أو نشأتَ على الاستماع إلى قصصه في مدارس الأحد، سيقودك كتاب برونو إلى محبة أشد لكلمة الله، وإلى رجاءٍ في المخلِّص الذي يشير إليه كل جزء من هذه الكلمة".

جي. ماك ستايلز (J. Mack Stiles)، المدير التنفيذي لشركة Gulf Digital Solutions؛ والسكرتير العام لهيئة الطلبة المسيحيين في دولة الإمارات (FOCUS)، في الإمارات العربية المتحدة؛ ومؤلف كتاب "**التبشير**" (Evangelism).

"هذا الكتاب الموجَز والثاقب مثاليٌّ للتلمذة الفردية، وأيضًا لمجالات تعليمية رسمية بدرجة أكبر. سيجد جميع المؤمنين، سواء كانوا حديثي الإيمان أو ناضجين في الإيمان، الكثير ليتأملوا فيه، ويفرحوا به، فيما يرسم لنا برونو بأمانة مخططات قصة الفداء".

توماس آر. شرينر (Thomas R. Schreiner)، أستاذ تفسير العهد الجديد، في منصب جيمس بوكانان هاريسون، بكلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية.

"كي نفهم كتابنا المقدس، نحتاج أن نفهم القصة الكبرى لخطة الله للفداء. يسلِّط كريس برونو الضوء على ستة عشر نصًّا مفتاحيًّا، كي يمدَّنا بمخطط واضح وسهل الفهم لهذه القصة الكبرى. أوصي بقراءة هذا الكتاب بشدة".

دوجلاس جي. مو (Douglas J. Moo)، في منصب ويسنر في الدراسات الكتابية، بكلية ويتون.

"يقبض كريس برونو على زمام قصة الكتاب المقدس في ستة عشر نصًّا قصيراً، يُعَد كل واحد منها حيويًا لفهم القصة التي تتكشَّف تدريجيًا. إلا أن القصة أيضًا أعظم من مجموع أجزائها. وحين تُرى الصورة التراكمية معًا، تبدو فاتنة ومغيِّرة للحياة".

جاسون سي. ماير (Jason C. Meyer)، راعي الكنيسة للوعظ والرؤية، كنيسة بيت لحم المعمدانية، مدينة مينيابوليس، ولاية مينيسوتا.

"يصطحبنا كتاب كريس برونو عبر الكتاب المقدس باعتباره قصة واحدة كاملة فقط في ستة عشر نصًّا. فهو يمدنا باستيعاب مضمونٍ للوحدة الإجمالية العامة لرسالة الكتاب المقدس، من خلال أَصحاحات سهلة الفهم، ومقاطع قصيرة".

جوش مودي (Josh Moody)، الراعي الرئيسي لكنيسة كولدج، بمدينة ويتون، في ولاية إيلينوي؛ ومؤلف كتاب "**رحلة نحو الفرح: مزامير المصاعد**" *(Journey to Joy: The Psalms of Ascent)*.

قصّة الكتاب المقدَّس في ١٦ آية

Arabic Version © 2025 by Crossway

The Whole Story of the Bible in 16 Verses
Original English Edition © 2015 by Christopher R. Bruno
Published by Crossway, 1300 Crescent Street,
Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.
Online Arabic edition published with permission of
Crossway
ISBN: 979-8-8749-0506-4

إهــداء

إلى لوك، وسايمون، وإيليوت

ليتكم تدخلون هذه القصة
في فرحٍ بذاك الموعود به، أي يسوع

المحتويات

صفحة

تمهيد ١١

شكر وتقدير ١٣

الجزء الأول

تأتي ساعة

١. الخلق (تكوين ١: ٣١) ١٧

٢. الإنسان (تكوين ١: ٢٧–٢٨) ٢٥

٣. السقوط (تكوين ٣: ٦–٧) ٣٣

٤. الوعد بالفداء (تكوين ٣: ١٥) ٤١

٥. إبراهيم (تكوين ١٢: ٢–٣) ٤٩

٦. يهوذا الملك (تكوين ٤٩: ١٠) ٥٩

٧. خروف الفصح (خروج ١٢: ٢٣) ٦٧

٨. داود الملك (٢ صموئيل ٧: ١٢–١٣) ٧٧

٩. العبد المتألم (إشعياء ٥٣: ٦) ٨٥

١٠. الوعد بالقيامة (حزقيال ٣٧: ٣–٥) ٩٥

١١. الخليقة الجديدة (إشعياء ٦٥: ١٧) ١٠٣

الجزء الثاني

قد أتت الساعة

١٢. التتميم! (مرقس ١: ١٤–١٥) ١١٣
١٣. الصليب (يوحنا ١٩: ٣٠) ١٢١
١٤. القيامة (رومية ١: ٣–٤) ١٢٩
١٥. التبرير (رومية ٣: ٢١–٢٦) ١٣٩
١٦. المجد (رؤيا ٢١: ١–٤) ١٤٩

ماذا بعد؟ ١٥٩

تمهيـد

إن كنتَ تقرأ هذا الكتاب، فأنت إذن مهتمٌّ باللاهوت الكتابي، حتى وإن كنت لا تعرف عنه شيئًا بعد. على خلاف اللاهوت النظامي الذي يجمع كلَّ ما يعلِّمه الكتاب المقدس عن موضوع معيَّن في مكانٍ واحد، يختص اللاهوت الكتابي بكشف وإيضاح التطور الزمني لموضوعٍ أو لمجموعة من الموضوعات عبر الكتاب المقدس. يهدف هذا إلى تتبُّع موضوعٍ معيَّنٍ، أو القصة ككل، فيما يتكشف تدريجيًا في الكتاب المقدس. في هذا الكتاب، سنتتبع قصة الكتاب المقدس، ونرى تطوُّر بعض الموضوعات المحورية عبر صفحاته. ولهذا أهنئك — فأنت في طريقك إلى أن تصير دارسًا في اللاهوت الكتابي!

تشبه بعض الكتابات في اللاهوت الكتابي الغابات. فهي ترسم لنا الصورة بخطوط عريضة، موضِّحة لنا الأجزاء الرئيسية لقسم من الكتاب المقدس، أو حتى الصورة الكبرى للكتاب المقدس ككلٍّ. يساعدنا هذا النوع من الكتب على رؤية الصورة الإجمالية للموضوعات الرئيسية للكتاب المقدس. لكن، تشبه كتابات أخرى في اللاهوت الكتابي الأشجار. فهي تأخذ شجرة واحدة — سواء كان موضوعًا أو نصًّا واحدًا في الكتاب المقدس — مقطِّعة إياها بعناية إلى أجزاء، ثم تحصي هذه الأجزاء، لتقدِّم لنا بعد هذا تفسيراً شاملًا تفصيليًا للكيفية التي بها تلائم الشجرة موضعها

داخل الغابة. لكن القليل من الكتب — ولا سيما الكتب الموجزة، مثل هذا الكتاب — تُعَد غابة وشجرة في الآن ذاته.

هذا الكتاب محاولة لرؤية الغابة عن طريق النظر إلى الأشجار (الآيات أو النصوص). وفي حين أننا لن ننظر إلى الأشجار عن كثب كبعض الكتب الأخرى، لكننا سنتناول ست عشرة شجرة هامة (ربما نطلق عليها علامات إرشادية) ستساعدنا على فهم الغابة ككلٍّ. وأرجو، بعد هذه الجولة القصيرة عبر غابة الكتاب المقدس، أن تتشوقوا إلى البحث عن كتب هي بمثابة غابات، وعن كتب هي بمثابة أشجار، كي تساعدكم على استيعاب أفضل لقصة الكتاب المقدس، سواء إجمالًا أو في أجزائها.

دعونا نبدأ إذن جولتنا معًا. وسنبدأ من البدء، من خلق العالم.

شكر وتقدير

بدأ هذا الكتاب في محاضرة مسائية، مساء يوم الخميس، بكلية أنطاكية، في ولاية هاواي، في البرنامج التدريبي للرعاة الذي ساهمتُ في قيادته. في تلك المحاضرة التي كانت مدتها ساعتان، تفحَّصنا بتمعُّن غالبية النصوص التي انتهى بها الحال في هذا الكتاب. جون بويم (John Boehm)، وجون كوران (John Curran)، وداستن وبريت هاريس (Dustin and Britt Harris)، وناثان كاوانيشي (Nathan Kawanishi)، وتود موريكاوا (Todd Morikawa)، وألتون يويما (Alton Uyema)، ومارك واتانابي (Mark Watanabe)، وجاستن وايت (Justin White) – أود أن أشكركم، لأنكم ساعدتموني على تتبُّع مسار هذه القصة. كما أشكر أعضاء كنيسة Christ Fellowship، بمدينة سن بريري، بولاية ويسكونسن، حيث قدمتُ بعضًا من مادة هذا الكتاب. وقد كانت كنيستي، كنيسة هاربر، وإخوتي من الشيوخ، جون بويم (John Boehm)، ومات ديركس (Matt Dirks)، وجاستن جير (Justin Geer)، وإيثان بيين (Ethan Pien)، مصدر فرح ودعم مستمر لعائلتي ولي أيضًا. أيضًا شجعني الكثير من الأصدقاء الآخرين بكلية أنطاكية بولاية هاواي، وبجامعة نورثلاند الدولية، وآخرين في كل أنحاء العالم، وشكّلوا فيَّ أثناء عملي على هذا الكتاب. شكر خاص أيضًا واجب لجيم وتشيلسيا فيرسكي (Jim and Chelsea Pferschy)،

ودافيد جريفيث (David Griffiths)، وزوجتي، كاتي برونو (Katie Bruno)، لأجل تعليقاتهم القيِّمة التي قدموها لي في أثناء إعدادي للمسودة الأولية. وأخيراً أشكر فريق العمل في دار نشر كروسواي، وبالأخص ديف ديويت (Dave DeWit) وجريج بيلي (Greg Bailey)، لأجل مساهمتهما التحريرية، والتزامهما تجاه الكتب المسيحية التي تمجِّد الله، والمدفوعة برسالة الإنجيل. صلاتي هي أن يقترب هذا الكتاب ولو قليلًا من هذا المقياس السامي.

شكَّل رجال من قبيل جريم جولدذوورثي (Graeme Goldsworthy)، وتوم شرينر (Tom Schreiner)، وجريج بيل (Greg Beale)، ومجموعة أخرى، الكيفية التي صرت أفهم بها اللاهوت الكتابي، على الرغم من أنني لم أقتبس منهم في مواضع محددة. وربما لم يكن واضحًا بالقدر نفسه، لكنَّ رجالًا من أمثال جون بايبر (John Piper)، وداج مو (Doug Moo)، بالإضافة إلى جون كالفن (John Calvin)، قد شكلوا الكيفية التي أقرأ بها الكتاب المقدس، وأفسره كتابيًّا. وإنني أكن الشكر العميق لهم لأجل تأثيرهم عليَّ بصورة شخصية، وعلى صفحات هذا الكتاب أيضًا.

لم أجد من زوجتي، كاتي، وأبنائي، سوى دعمًا لي في كل ما دعاني الله لأعمله. وإنهم يُذَكِّرونني باستمرار بالشيء ذات الأهمية الأعظم. صلاتي أن يَعرِف أبنائي هذه القصة وأن يحبُّوها، وأن تتشكل حياتهم بها. ولأجل هذا الرجاء، أهدي هذا الكتاب إلى أبنائي، لوك، وسايمون، وإيليوت.

الجـزء الأول

تأتــي ساعــة

فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.

تكوين ١: ٣١

يبدأ منظورنا عن العالم بمنظورنا عن الله. فإن اعتقادنا وفكرنا عن الله يشكِّل اعتقادنا وفكرنا بشأن كلِّ شيء آخر، كما يشكِّل سلوكنا، وكيفية تجاوُبنا مع كل ظرف. وبسبب هذا، يلزم في بداية رحلتنا أن تستقيم أفكارنا عن الله. بكلمات أخرى، فيما نشرع في الإخبار بقصة الكتاب المقدس، لا بد أن نبدأ مِن الله. فهو مصدر وكاتب الكتاب المقدس، وهو بطل كل قصة فيه؛ وبالتالي، لا يسعنا حتى التفكير في الإخبار بالقصة دون أن نبدأ به.

وكي نفعل هذا، سنبدأ مِن العدد الأخير مِن الأصحاح الأول في الكتاب المقدس، الذي يقول:

وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا. (تكوين ١: ٣١)

للوهلة الأولى، يبدو لنا أن الأصحاح الأول من سفر التكوين لا يقدم لنا الكثير من المعلومات عن الله. بل في المقابل، يبدو وكأن كل ما لدينا هو قصة الخلق، مع كون وجود الله مفترَضًا إلى حد ما. لكن حين نواصل القراءة في قصة أسبوع الخلق، في الأصحاح الأول من الكتاب المقدس، نجد سلطان الله مذهلًا للغاية. فهو يقول، فيكون. إن كنتَ قد تقابلتَ يومًا مع مدير تنفيذي، أو أحد أعضاء مجلس الشيوخ، أو ربما مع رئيس الجمهورية، فربما تدرك الآن ما يحدث حين يتكلم شخص في موضع سلطة: فإن الأوامر تنفَّذ، بل وتنفَّذ سريعًا. من جهة الله، نستطيع أن نرى هذا المبدأ نفسه ساريًا — ولكن بما يفوق هذا بحوالي مليون ضعف.

إن لم تكن على دراية جيدة بقصة الخلق، دعني أوجزها لك: خلق الله كلَّ شيء، وكان كلُّ ما خلقه حسنًا. لسنا في حاجة إلى المزيد من التعمق في القصة كي نفهم الفكرة. ففي البدء، لم يكن شيء، وخلق الله كل شيء فقط بكلمته. فقد تكلم، فأطاعت الخليقة، أطاعت بأن وُجدت، وبأن أخرجت كل كائن حي، وأخيراً بأن أخضعت نفسها لقدرة الله السيادية. يبدو أن بؤرة التركيز في الأصحاح ككلٍّ، ولا سيما في العدد الحادي والثلاثين، هي السهولة التي بها أوجد الله العالم بكلمة، والتناغم الذي وُجد بين الخالق والخليقة.

وهكذا، في البدء، نلتقي بإلهٍ قادرٍ أن يخلق كلَّ ما هو موجود دون جهد يفوق، على ما يبدو، الجهد اللازم كي نربط أحذيتنا. فإننا نلتقي بإله تمتد قدرته وسلطانه الخالق إلى كل جزء من أجزاء الكون.

وحين انتهى الله من خلق كل شيء، نظر إلى كل هذا، ورآه "حسنًا جدًا". لاحظ أن الله كان هو مَن نطق بالحُكم والتقييم. فقد وُجد الكون بأكمله لأنه تكلم، وهو وحده كان أهلًا لتقييم عمله الخالق. لم نرَ الملائكة تساند الله ببعض التعليقات المشجعة. (بل في حقيقة الأمر، لسنا نعلم متى وكيف خلق الله الملائكة، مع أننا نستطيع أن نتيقن تمامًا من أنها ابتدأت تسبحه على الفور). لا، بل كان التركيز منذ البداية على الله، وعلى خليقته، وعلى سلطانه على تلك الخليقة.

حين نجمع معًا قدرة الله على الخلق، وسلطانه في تقييم خليقته، نكتشف أن الله هو **الحاكم المتسيِّد** للكون. بكلمات أخرى، الله هو الملك الذي له الحق، والقدرة، والسلطان، أن يتسلّط على خليقته. وكان الحُكم الرسمي الذي أصدره الملك على مملكته هذه أنها "حسنة جدًا".

حين نتوقف قليلًا ونفكر في هذا، ألا نصاب بالدهشة؟ فإن نظرنا إلى العالم من حولنا، أو سمعنا التقارير الإخبارية، نجد أن العالم لا يبدو "حسنًا جدًا". فإن كل شيء يضمحل ويذوي، وكل إنسان يصارع، ويبدو أن لا أحد يعلم كيف يصلح أيَّ شيء. كيف إذن أمكن لله أن يقول هذا؟

لستَ مضطراً أن تكون دارسًا للغة العبرية كي تفهم معنى هذا العبارة في سياقها. أولًا، نستطيع أن نرى أن تصريح الله هذا كان ينطبق على **كلِّ شيء** خلقه. ليس أن جزءًا واحدًا فحسب من الخليقة كان حسنًا، وجزءًا آخر كان بحال جيدة، بينما كان جزءٌ آخر متدنيًا نوعًا ما. لا، بل في البدء، كان كل جزء في الخليقة حسنًا.

ثانيًا، لم تكن الخليقة حسنة فحسب، بل كانت حسنة **جدًا**. لسنا هنا بصدد الحديث عن عمل متوسط. لستُ أعلم إن كنتَ مثلي أم لا، لكن كلما حاولت أن أصنع شيئًا بيديَّ، لا أتمكن البتة من إتقانه. أتذكر أنني جمعتُ نموذجًا لسيارة رياضية من نوع "Corvette" حين كنتُ في المرحلة الإعدادية. كانت الصورة الموجودة على الصندوق تمثل سيارة رياضية أنيقة وبراقة — حتى أنها بدت أفضل من السيارة الحقيقية. لكن حين بدأتُ في جمع النموذج، تكتلت المادة اللاصقة، وبدت عملية الدهان والتلوين وكأن طفلًا في الرابعة من عمره قام بها. قطعًا لم يشبه هذا النموذج شيئًا مما كان مرادًا أن يكونه!

بل وتفتقر حتى أفضل مجهوداتنا الإبداعية إلى شيءٍ ما. يعتبر الكثير من الموسيقيين (لستُ واحدًا منهم) "السيفمونية الخامسة" للودويج فان بيتهوفن (Ludwig Van Beethoven) واحدة من أفضل وأهم الإنجازات الموسيقية في التاريخ. لكنها لم تحظ بالكثير من الاهتمام بعد العرض الأول لها. لم يسنح للأوركسترا وقتٌ للتدرب عليها سوى مرة واحدة فقط قبل العرض. وفي أثناء هذا العرض، أساء الموسيقيون العزف بشدة،

حتى أن بيتهوفن أوقف فعليًّا الموسيقى، وبدأ العزف من جديد. لم يُصدر الكثيرون آنذاك بعد هذا العرض الأول حكمهم بأن السيمفوينة "حسنة جدًا". لكن حين قال الله إن الخليقة "حسنة جدًا"، كان يقصد أنها كانت كما أرادها تمامًا في كلِّ شيء.

لا يعني هذا فقط أنها كانت جميلة أو مبهرة، مع أننا يمكننا أن نتيقن من أنها كانت كذلك (وفي أحيان كثيرة هي لا زالت كذلك). لكن حين قال الله إن الخليقة "حسنة جدًا"، كان يصرِّح بأن خليقته كانت تعمل ما أرادها أن تعمله تمامًا. كانت الأشجار تنمو حيث كان ينبغي أن تنمو، والأسماك تسبح بالطريقة الصحيحة، والبشر يتواصلون مع بعضهم البعض، ومع الخليقة، ومع خالقهم، تمامًا كما أراد (سنعود إلى هذا في الفصل التالي). باختصار، كان ملكوت الله في تناغم تام وكامل مع مَلِكه.

بينما نعلَم جيدًا على الأرجح أننا سنرى كسراً لهذا التناغم التام بعد حوالي محطتين من جولتنا، لكن يبدو واضحًا أن خليقة الله لا تزال تعكس قوته القديرة. فكر معي في أروع وأجمل مكان قمتَ بزيارته يومًا. بالنسبة لي، ربما يكون هذا المكان هو ساحل نابالي بجزيرة كاواي، في جزر ولاية هاواي. تخيل معي امتدادًا من المنحدرات الخضراء الشاهقة على مسافة ستين ميلًا، مزدانة بشلالات المياه، يبلُغ ارتفاع البعض منها حوالي أربعة آلاف قدم فوق سطح المحيط. حين تجلس في قارب صغير في المياه، وترفع رأسك إلى هذه الجبال، تشعر بالضآلة الشديدة، لكنك

ترى في الآن ذاته أن خليقة الله لا يزال من الممكن أن تكون حسنة جدًا. ربما يَظهر لك هذا في اتساع وادٍ، أو في منظر تراه من قمة جبل، أو في روعة حقل لم تمسه يد في الصباح بعد عاصفة ثلجية، أو في أيٍّ من آلاف الأوجه الأخرى للطبيعة. لسنا نرى هذا دائمًا حين ننظر خارج نوافذنا لنرى قمامة ملقاة في قنوات الصرف، أو ثلجًا صار أسود اللون بسبب الأوساخ، لكن مع هذا، خلق الله العالم "حسنًا جدًا".

في المزمور ١٠٤، نستطيع أن نرى أنَّ الأرض، والسماء، والمحيط، بكل ما تحويه كلها، لا تزال تعكس قدرة الله الخالقة، وسلطانه القدير. يقول العدد ٢٧: «كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى». فعلى الرغم من كل ما لم يَسِر على ما يرام، لا يزال ملكوت الله يترجَّى هذا الإله، ويتكل عليه، تمامًا كما كان الحال منذ البدء.

قبل أن نترك هذه الشجرة الأولى في جولتنا عبر الغابة، ثمة أهمية أن نُصِر على استمرار حُسن خليقة الله. يُذَكِّرنا بولس في ١ تيموثاوس ٤: ٤ بأن «كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ». فهو لم يقل إن **معظم** خليقة الله جيدة، كما لم يقل إن كل خليقة الله **كانت** جيدة، بل يؤكد بولس على أن خليقة الله بأسرها لا تزال جيدة.

أستطيع أن أتفهم جيدًا السبب الذي لأجله يحتقر البعض "العالم المادي"، ويتمنُّون الهرب منه إلى "العالم الروحي" البحت. ففي النهاية، ليس صعبًا تمامًا أن نجد اليومَ المشكلات في العالم! ولكن إن كنا ندَّعي

أننا نتبنَّى نظرة كتابية بحق عن خليقة الله، فإننا إذن لا بد أن نظل مصرِّين على كون خليقة الله جيدة، وعلى أن له غرضٌ وقصدٌ منها.

على الوجه الآخر من العملة، لا يسعنا أن ننسى أنَّ العالم ليس غاية في ذاته ومن ذاته. علينا ألا نتحدث عن الخليقة بمعزل عن الإله الذي خلقها — بل الذي أيضًا له سلطان عليها، والذي يقيمها ويدعمها بقدرته السيادية. وبالتالي، إن كنا نسعَى كي يكون خير وحُسن النظام المخلوق (كما نراه وندركه) هو السمة الأسمى في الكون، فإننا لسنا ندرك الصورة كاملة. لكن في المقابل، علينا أن نؤكد أن خيره وحُسنه يتوقف على الله، خالق الخليقة ومَلكها.

يفتح لنا تكوين ١: ٣١ نافذة على قصة الخلق، لكنه ليس كل القصة. فمع أن الله هو ملك خليقته، لكنه لا يريد أن يحكمها وحده. وكي نقص ذلك الجزء من القصة، يلزمنا أن ننتقل إلى الشجرة التالية.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الخلق

الملكوت

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو المَلِك.

عَلَى صُورَةِ اللهِ ... خَلَقَهُمْ.

تكوين ١: ٢٧-٢٨

كتب اللاهوتي الشهير جون كالفن، الذي عاش في القرن السادس عشر، أن كلَّ حكمتنا تقريبًا تتكوّن من معرفة بالله ومعرفة بالنفس. في الفصل الأول، تعلمنا بعض الأشياء عن الله الذي خلق العالم ويَحكُمه. لكن، حين ننتقل إلى المحطة التالية من جولتنا عبر الكتاب المقدس، سنَحصُل على لمحة عن بعض الحقائق التي لا بد أن نعرفها عن أنفسنا. وبالتالي، قبل أن نخطو إلى الأمام تاركين وراءنا أسبوع الخلق، يَلزَم أن نعود قليلًا إلى الوراء كي نُلقي نظرة على الوصف الهام عن خليقة الله وعن إرسالية الجنس البشري.

فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ.
عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ.
ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.

وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ».
(تكوين ١: ٢٧-٢٨)

بالرغم من قوة الله السيادية، وحقِّه المطلق في أن يَحكُم خليقته، لكنه اختار ألا يفعل هذا وحده، بل خلق آدم وحواء تاجًا للخليقة. وفي حين يختلف مؤمنون كثيرون حول أفضل تفسير للأصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين، لكن يصعُب علينا أن نتجنب استنتاج أن الله خلق آدم وحواء كي يؤديا دوراً محددًا، وهو أن يكونا حملة صورته، أو ممثلين له، في الخليقة.

حين نفكر قليلًا في معنى أن نكون مخلوقين على صورة الله، لا يمر الكثير حتى نجد أنفسنا وقد ضعنا في متاهة الجدل اللاهوتي. فقد تجادل علماء اللاهوت حول معنى هذه الأعداد لقرون، وبالتالي، لا يسعنا هنا (ولسنا في حاجة إلى) أن نوضح جميع تلك الحجج والنقاشات. لكننا في حاجة فعلية إلى أن نتناول بعض الاحتمالات المفتاحية.

يقول البعض إن صورة الله تتعلق بشكل رئيسي بقدرتنا على استخدام المنطق والفكر. بينما يقول آخرون إنها تتعلق بقدرتنا على التواصل مع الله والآخرين. لكن يقول آخرون إنها تتعلق بالإرسالية والتكليف من الله لآدم وحواء. لكن الاحتمال الأرجح هو أن صورة الله تتعلق **بكلٍّ من** السمات والميول العلاقاتية التي نشترك فيها مع الله.

كانت صور الآلهة الوثنية توضَع، في العالم القديم، في المعابد كي تمثِّل تلك الآلهة. وبينما لا يوجد توازٍ متطابق بين تلك الممارسة وفكرة صورة الله، إلا أننا نستطيع أن نقول إننا أيضًا نمثِّل الله على الارض. لا يعني هذا أن نتجوَّل في الأنحاء عابدين أحدنا الآخر، أو تاركين ثمرات البرتقال لبعضنا البعض، كما نرى أمام تماثيل بوذا في المطاعم الصينية. بل في المقابل، يعني هذا أننا **قادرون** على تتميم الإرسالية التي أخذناها من الله. وبالتالي، كان يعني خلق آدم وحواء على صورة الله أنهما كانا قادرين على فعل ما دعاهما الله لفعله.

لاحظ أيضًا أنَّ آدم وحواء قد خُلقا **كليهما** على صورة الله. ثمة أهمية أن نرى أنَّ الكلمة التي تُرجمت "الإنسان" في العدد السابع والعشرين من الأصحاح تنطبق على كلٍّ من الرجل والمرأة. فقد أوضح الله، تحسبًا لأي سوء فهم من جانبنا، أن كلًا من الرجال والنساء قد خلقهم على صورته. حين نتذكر الإساءات الشهيرة التي تعرضت لها النساء في العالم القديم، يصبح هذا الحق أكثر أهمية. ففي حين أن لكلٍّ من الرجال والنساء أدواراً

خاصة صمَّمها الله ليقوموا بها، لكن لا نستطيع أن نقول إن الرجال وحدهم (أو النساء وحدهن) صورة الله. لكن دُعي كلاهما كي يؤديا دوراً في خليقة الله الحسنة.

في النص الذي نحن بصدده، لهذا الدور جزءان يشكلان أهمية. أولًا، دعا الله آدم وحواء كي يملآ الأرض ويُخضِعاها. وبينما شملت هذه الوصية بالتأكيد توقعًا بأن ينجب آدم وحواء أبناءً، لكن كان الأمر يفوق هذا. فإن نظرنا بتمعُّن إلى قصة الخلق الموازية في الأصحاح الثاني من سفر التكوين، نجد تلميحًا صغيراً عن المقصود بإخضاع آدم وحواء للأرض. يخبرنا تكوين ٢: ٨ بأن الله أنبت جنة في عدن، شرقًا، واختار أن تصير تلك الجنة موضعًا خاصًا يلتقي فيه بشعبه. يوحي هذا ضمنًا بأنه كانت هناك مساحات شاسعة أخرى خارج جنة عدن، وفي بقية العالم، حيث لم يسكن الله أو شعبه.

هل تستطيع أن ترى ما تضمنته إذن هذه الإرسالية؟ حين دُعي آدم وحواء لإخضاع الأرض، كانت دعوتهما تقتضي بتوسيع حدود الجنة. لم يكن هذا مجرد صورة قديمة من الزحف العمراني. بل في المقابل، كانت الوصية تقتضي توسيع الإقليم الذي يسكن فيه الله نفسه. بكلمات أخرى، إذ يُنجب آدم وحواء أبناءً، وينجب أبناؤهم أبناءً، تصير مهمتهم هي توسيع الإقليم حيث سكن الله مع شعبه.

يبدو الأمر وكأن الجنة كانت هيكلًا صغيراً في عدن، ثم أوصي صور الله بتوسيع نطاق ذلك الهيكل الذي هو الجنة كي يملأ عدن، ثم الشرق، وفي النهاية العالم أجمع. وفيما تتوسع الجنة، سيمتد ويتوسع معها بالتدريج موضع سكنى الله مع شعبه.

لكن لم يكن التركيز الرئيسي لهذه الإرسالية، حتى منذ البداية، على الموضع الذي سيتوسع، بل بالأحرى على الغرض من هذا الموضع. خلق الله الرجل والمرأة كي يحملا صورته؛ وبصفتهما حملة صورته، كانت وظيفتهما تقتضي أن يعلنا مجد الله وبركته. وبالتالي، نرى فعليًا تكليفًا من الله لآدم وحواء بأن يكونا أول المرسلين.

الجزء الآخر من التكليف كان أن "يتسلط" آدم وحواء على الأرض، ولا سيما على الحيوانات. أساء بعض المؤمنين والكثير من غير المؤمنين تفسير هذا الجزء الثاني من التكليف. فهم يلقون اتهامات بكون هذا تصريحًا للبشر كي يدمروا البيئة، ويتلفوا الأرض، ثم ينتقلون إلى البقعة التالية من الأرض. لكن إن صرفنا بعض الوقت للتفكير حقًا فيما يجري في هذه الأعداد، سيتضح لنا جليًّا أن هذه طريقة منحرفة لتفسيرها.

إنه لأمر محوري أن نربط هذا الجزء من التكليف بصورة الله. إذ خُلق آدم وحواء على صورة الله، كان هذا يعني أنهما كان ينبغي أن يمثلاه على الأرض. وبما أنه هو الملك المتسيّد على كل الخليقة، فإن ممثليه سيحكمون ويتسلّطون نيابة عنه. وبالتالي، لا يعني ممارسة التسلط على

الأرض أن نستغلها ونسيء معاملتها. هل هذه هي الكيفية التي قد نتوقع أن يحكُم بها الله، الذي دعا خليقته "حسنة جدًا"، الأرض؟

كان المقصود من وصية التسلط وجوب أن يتسلط آدم وحواء على الحيوانات وسائر الأرض بالطريقة التي قد يتسلط بها الله نفسه عليها. كان عليهما أن يعتنيا بها، ويكونا وكلاء صالحين عليها، ويمجدا الله في تسلُّطهما هذا.

في هذا العالم، عالم ما بعد الاستعمار والمضاد للإمبريالية، صارت لدينا نظرة مشوَّهة وسيئة عما يبدو عليه أن نكون تحت سلطان مَلكٍ صالح وحكيم. ففي ضوء الإساءات التي شهدناها من ملوك وديكتاتوريين، حتى في القرن الماضي نفسه، نستطيع أن نتفهم جيدًا انعدام الثقة هذا. لكن في البدء، لم يكن الأمر هكذا. كان الله ملكًا صالحًا، وخلق آدم وحواء كي يرددا صدى هذا الحُكم المُحِب في ملكوته، أي خليقته.

في حقيقة الأمر، يَمدنا خلق آدم وحواء، كحاملين صورة الله، بتصور جيد عن بقية أسبوع الخلق. فقد خلق الله البشر الأوائل كي يمثلوه في هذه الخليقة الحسنة جدًا، وكي يوسعوا من موضع سكناه حيث يظهر مجده، ويتسلطوا على موضع السكنى هذا نيابة عنه.

يعني هذا أيضًا أن الله كان بهذا يَدخُل في نوع خاص من الاتفاقيات مع شعبه حين خلقهم. فقد خلق آدم وحواء، وأعطاهما حياة، ووضعهما في الجنة. ثم دعاهما إلى هذه المهام الكبرى والعظمى. يطلق الكثير من

علماء اللاهوت على هذه العلاقة الخاصة اسم **عهد**. وسوف نوضح تلك الفكرة أكثر فأكثر في استعلانها في تاريخ الخلاص، لكن من الهام أن نستعرض هذا المفهوم من البداية. فمنذ اليوم الأول من الخلق، كان الله ملتزمًا تجاه خليقته، وكان يكن محبة عهدية للإنسان بشكل خاص.

لكن حين ننظر حولنا ونرى أمراً خاطئًا في الكيفية التي يتفاعل بها البشر مع الخليقة، سنضطر أن نستنتج أنه في مرحلة ما، أسقط أحدهم الكرة. يقودنا هذا إلى محطتنا التالية: السقوط.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الخلق

الملكوت

العهد

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت.

فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ.

تكوين ٣: ٦-٧

في هذه المرحلة، ربما نطرح هذا السؤال: إن كان الله قد خلق كل شيء كي يكون حسنًا، وخلق البشر كي يتسلطوا على خليقته الجيدة، لماذا إذن يبدو العالم في انهيار شديد؟ يؤدي بنا هذا السؤال إلى الأصحاح الثالث من سفر التكوين. يعد هذا الأصحاح واحدًا من الأكثر الأصحاحات التي تكسر القلب في كل الكتاب المقدس، لأننا فيه نرى خليقة الله الحسنة تَفسَد. في هذا الأصحاح نرى آدم وحواء، اللذين خلقهما الله كي يحباه، ويضعا ثقتهما به، ويتسلطا نيابة عنه، ينصرفان ويحيدان عنه. والشيء المؤسف في كل هذا هو أن كل واحد منا يستطيع أن يرى نفسه في آدم وحواء.

وكي نقص هذا الجزء من القصة، نحتاج أن نعود قليلًا إلى الأصحاح الثاني، إلى تفصيلة صغيرة تعمدتُ إغفالها سابقًا. حين خلق الله آدم وحواء، وكلَّفهما بالإرسالية، ترك لهما كامل الحرية للتسلط في الجنة. فإنهما كانا، تحت سلطانه، حاكمي الجنة، يملكان الحق والامتياز بالأكل من كل شجرة تقريبًا فيها. لكن نهاهما الله عن الأكل من شجرة واحدة — واحدة فحسب، إذ أخبرهما: «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٧).

لا نعرف الكثير من التفاصيل عن هذه الشجرة، ولسنا نعلَم بالتحديد ما الذي ميَّزها هكذا، أو لماذا نهاهما الله عن الأكل من ثمارها، على خلاف ثمار المئات من الأشجار الأخرى في الجنة. ومع احترامي الشديد لجون ميلتون (John Milton)، مؤلّف الكتاب الكلاسيكي **الفردوس المفقود** *"Paradise Lost"*، لسنا نعرف إن كانت الثمرة التي أكلتها حواء تفاحة أم لا.

لكن ما نعرفه بالفعل عن هذه الشجرة، وعن وصية الله بعدم الأكل منها هو أن الله كان يحمي آدم وحواء. حين نرجع إلى فكرة علاقة العهد، نجد أن جزءًا هامًا من هذه العلاقة هو تحديد الشروط المصاحبة للعهد.

قطعًا، ثمة أهمية أن يتم في أية علاقة تحديد الشروط والبنود. وقد كان الإخفاق في فعل هذا في أمريكا الحديثة مصدر الكثير من التوتر والقلق الذي نشأ لدى المراهقين. وحتى حين نكبر في العمر قليلًا ونتزوج،

فإن مبدأ أساسيًا هامًا هو أننا لا بد أن نتحدث بوضوح عن توقعاتنا، أليس كذلك؟ (أرجو ألا يسأل أحد زوجتي إن كنتُ قد نجحت بالفعل في هذا الأمر أم لا).

وبالتالي، كان جزءًا من علاقة العهد بين الله والبشر هو أن أوصاهم الله بالاتكال عليه وطاعته. فقد أرادهم أن يصدقوا أن وصيته هي الأفضل لهم — كما حين نطلب من أبنائنا ارتداء خوذة، أو الاحتراس من السيارات، أو إبطاء سرعتهم حين يركبون دراجاتهم. لكن كيف يستجيب أبناؤنا في المعتاد؟ يشككون في نصيحتنا، ويتصرفون كما لو أنهم يعرفون أفضل ممَّن هم في موضع سلطة — تمامًا كما فعل آدم وحواء. بل في حقيقة الأمر، يتصرف أبناؤنا هكذا لأن آدم وحواء تصرفا هكذا آنذاك! وسنعود إلى هذا لاحقًا.

في بداية الأصحاح الثالث من سفر التكوين، نكتشف أن مخلوقًا يُسمَّى "الحية" قد شق طريقه إلى داخل الجنة. لا نعلَم الكثير عن هذا المخلوق، تمامًا كما لا نعلم الكثير عن الشجرة. لسنا نعرف إن كانت حواء قد فوجئت أم لا بالاستماع إلى حية تتكلم؛ ففي النهاية، اعتادت حواء أن تتمشَّى مع الله في وقت هبوب ريح النهار؛ وبالتالي، لستُ على يقين أننا في وضع يخولنا للحكم على ما من شأنه أو ليس من شأنه أن يفاجئها (انظر تكوين ٣: ٨). لكننا نعلم أن الحية هي التي بدأت حواراً مع حواء، وأن آدم لم يحمِ زوجته منها. وبالتالي، من المحتمل أن آدم لم يكن يؤدي دوره في إخضاع الأرض بأفضل صورة.

إن كان آدم لم يكن يؤدي دوره في إخضاع الأرض بشكل جيد، فربما يتضح أيضًا أن حواء لم تكن تؤدي دورها في تتميم الإرسالية بأفضل صورة. فبمجرد أن طرحت عليها الحية سؤالًا، كذبت، وبدلًا من أن تكرر وصية الله بعدم الأكل من الشجرة، أضافت أن الله قد أوصاهما ألا يمسَّاها! وحين رأت الحية تلك البداية، هرعت إلى استغلالها والطَّرق عليها، مقنعة حواء بأن الله لم يضع شروط العهد هذه لحمايتها وحماية زوجها، لكنه أوصاهما ألا يأكلا من الشجرة كي يمنع عنهما السعادة الحقيقية.

مرة أخرى، تبدو هذه القصة مألوفة للغاية. فكم مرة تسمع من الآخرين، أو على الأرجح، تسمع من داخلك صوتًا يقول إن وصايا الله مصمَّمة للقضاء على سعادتك؟ هذه القصة القديمة حقًا وثيقة الصلة بنا للغاية:

> فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. (تكوين ٣: ٦-٧)

في حين نميل إلى الظن بأن هذين العددين يمثلان الخطية الأولى للبشرية، لكن إن تتبَّعنا الجزء الأول من الأصحاح بتدقيق، ربما ندرك بالفعل أن آدم وحواء كانا قد سقطا بالفعل قبل هذا. تشبه قصتهما أحد

تلك المرات النادرة التي تمكَّن فيها لاعب الظهير، باري ساندرز (Barry Sanders)، لاعب فريق أسود ديترويت (Detroit Lions)، من تخطِّي فريق الخصم، والحصول على خط ركض خالٍ. حينئذ كنا نعلم أنه سيصل إلى خط الهدف بينما هو بعد في خط الثلاثين ياردة. هكذا أيضًا، حين نظرت حواء إلى الشجرة، ورأت كم كانت حقًا بهجة للعيون، لم تعد هناك فرصة للرجوع.

أقنعت الحية حواء بأن تأكل من الثمرة، لأنهما حين يأكلان منها، سيكونان كالله، عارفين الخير والشر. ولهذا التفتت حواء، ونظرت إلى الشجرة، ربما وكأنها تراها لأول مرة. فقد كانت "جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ"، و"بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ". يعني هذا أن ثمار الشجرة لم تكن مجرد ثمار تين ضئيلة وجافة، أو ثمار موز خضراء اللون لم تنضج بعد. لا نعلم كم مضى من الوقت منذ خلق الله آدم وحواء، لكن بما أنهما لم يكونا قد أنجبا أبناء بعد، فربما كان قد مر أقل من عام واحد. ربما كانت حواء ترى ثمار الشجرة ناضجة لأول مرة. وإذ رأت جمال الشجرة وثمارها، أغويت بإعلاء قيمتها، أي قيمة الخليقة، فوق قيمة الله، خالق الخليقة.

لكنها رأت أيضًا أن الشجرة كانت "شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ"[1]. هل تتذكر ما قالته الحية لها؟ فقد برزت إلى السطح رغبة حواء في أن تكون حكيمة كالله، ولم تعد تستطيع المقاومة. ولهذا أخذت من الثمار وأكلت.

[1] المترجم: نجد هذه العبارة في الترجمة الإنجليزية كما يلي: "مرغوب فيها كي تجعل المرء حكيمًا".

ثم التفتت وأعطت منها لرجلها، آدم. نتصور أحيانًا أن آدم كان بعيدًا في مكان آخر يلتقط ثمار جوز الهند أو ما إلى ذلك، بينما كانت حواء تُغوى، ثم عاد إلى المنزل ليجد وعاء من الثمار المحرَّمة يُطهى. لكن انظر بتمعن: "أعطت حواء أيضًا البعض لرجلها الذي كان معها". كان آدم واقفًا هناك طوال الوقت! لم يقتصر الأمر على إخفاقه في إخضاع الأرض، لكنه وقف أيضًا هناك مكتوف الأيدي بينما كانت الحية تستميل امرأته لتحدي وصية الله. بل في حقيقة الأمر، كان آدم مشتركًا عن عمد ووعي في هذه الخيانة. فقد أسرع مثلها تمامًا في أخذ الثمرة والأكل منها. لا تتسرع إذن في إلقاء اللوم على حواء وحدها في هذا الأمر، فقد كان كلاهما مذنبين، وكان على كليهما أن يواجها عواقب تصرفهما. كان من شأن تلك العواقب أن تكون صارمة. في كتاب **الفردوس المفقود** "*Paradise Lost*"، وصف ميلتون الخطية والموت بأنهما "التوائي الجهنمي". فقد كانا متلازمين. وبمجرد وصول الخطية، ظهر الموت، "ملتصقًا بها عن كثب".[٢]

كان الله قد أخبرهما بهذا: «يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٧)، وهذا هو ما حدث تمامًا. ففي حين كان موت الجسد المادي عتيدًا أن يأتي يومًا ما كنتيجة لخطية آدم وحواء، إلا أن الموت الذي واجهاه في ذلك اليوم كان أكثر خطورة: فقد كان موتًا روحيًا، أي موتًا لحميميتهما مع إلههما وخالقهما. لم يعد باستطاعتهما التمشّي مع الله عند هبوب ريح

[2] John Milton, *Paradise Lost*, 10.585–90.

النهار؛ فقد انقطعت الشركة والعلاقة التي تمتعا بها معه. وفي النهاية، طردهما الله من الجنة، ولم يسمح لهما بدخولها ثانية (تكوين ٣: ٢٣-٢٤).

أيضًا بعد أن أكلا من الثمرة، علما أنهما عريانان، واختبرا الخزي بل والخوف الناتجين عن هذا العري. ولهذا صنعا لأنفسهما مآزر، إذ أرادا ستر أنفسهما، والاختباء من أحدهما الآخر، بل والاختباء من الله. إلا أن مآزرهما المثيرة للشفقة كانت عاجزة عن إخفاء خطيتهما عن الله. فقد وجدهما الله، وأصدر حكم الدينونة عليهما.

لكن حتى في خضم هذا الظلام، نجد مؤشرات أمل. لم يترك الله آدم وحواء عريانين (تكوين ٣: ٢١)، بل كساهما بالثياب، مقدمًا لهما بهذا صورة عن الفداء الذي كان عتيدًا أن يدبرِّه لهما.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

السقوط

الخطية

الدينونة

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة.

الوعـــد بالفـــداء

هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ.

تكوين ٣: ١٥

إن كنتَ مؤمنًا منذ زمان طويلٍ، فربما تعلم كلمات ترنيمة ويليام كوبر (William Cowper) بعنوان: "يتحرك الله في غموض" (God Moves in a Mysterious Way).[٣] ربما من أكثر كلمات هذه الترنيمة تأثيراً ودلالة هي الكلمات التالية: "وراء تدبيرٍ عابسٍ، يُخفي وجهًا باسمًا". حتى إن كنتَ تسمع بهذه الترنيمة لأول مرة، لن يكون الشعور الذي تولده بداخلك جديدًا، لأن كوبر كان ببساطة يعيد سرد الحق الذي نجده في نصوص شهيرة مثل رومية ٨: ٢٨ «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ». وبينما لا يمكن

[3] William Cowper, "God Moves in a Mysterious Way," 1774.

لهذا أن يعني أن الله سيجعل "كلَّ يوم هو يومَ جمعة"[٤]، أو أنه سيعطيك "الحياة الأفضل الآن"، لكنه يعني أننا ينبغي ألا نفقد الرجاء البتة في التزام الله بتقويم وتصحيح كل ما فسد وساء.

يعرِض لنا تكوين ٣: ١٥ المخطط الأوَّلي لهذا الرجاء، على الفور بعد وقوع الحدث الذي يبدو أنه أسوأ تحوُّل في مسار الأحداث على الإطلاق. قال الله:

وَأَضَعُ عَدَاوَةً
بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ،
وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا.
هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ،
وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.

في وسط ما يبدو تدبيراً في غاية القاتمة، يسطع وجه الله الباسم بأروع صورة. فقد رأينا في ختام الفصل السابق المؤشر الباعث على الرجاء، حين ألبس الله آدم وحواء. لكن الأكثر من هذا أنه حتى بينما كان الله يلعَن البشر — والحية لأجل دورها في فعل الخيانة الذي قام به آدم وحواء — قدم لهم ولنسلهم الرجاء. بدا الأمر وكأن الله كان يبدِّل العقوبة في الوقت نفسه الذي يصدر فيه الحُكم. كان من شأن عواقب الخطية

[٤] المترجم: أثبتت الدراسات أن نسبة السعادة تزداد في يوم الجمعة بسبب مجيء عطلة نهاية الأسبوع.

أن تكون وخيمة — مثل وجع ولادة الأولاد، ونزاع علاقاتي، وعناء في العمل، وطرد من الجنة، والأبشع من هذا، الموت والانفصال عن الله — لكن لن يسمح الله للخطية أن تكون لها الكلمة الأخيرة.

فبينما كان الله يختم كلمات الدينونة التي وجهها للحية، قدم لمحة عما خطط أن يجريه لأجل الجنس البشري. لن يسمح الله بأن يتركهم دون رجاء. وفي كلمات الرجاء هذه، نجد نموذجًا للنزاع الذي كان سيستمر إلى أن تأتي الخليقة الجديدة.

بينما كان آدم وحواء يستمعان إلى هذا، قال الله للحية إن عداوة — أو بغضة — ستنشأ بين "نسل" (أو "ذرية") الحية ونسل المرأة. لكن لن تكون هذه العداوة مجرد منافسة بين فريقين رياضيين — وإن كانت منافسة حامية كتلك بين فريق جامعة ميتشيجان وفريق جامعة ولاية أوهيو. فعلى الرغم من كوني مشجعًا لفريق ميتشيجان، لكن علَّمني الله أنه يستطيع التغلب حتى على أشد منافسة في الرياضة الجامعية عن طريق استمراره في وضع أناس من فريق ولاية أوهيو في حياتي. وقد تعلمت أن أحبهم بالرغم من هذا العيب الصارخ. أيضًا لا تساوي هذه "البغضة" بين فريق ميتشيجان وفريق جامعة ولاية أوهيو شيئًا أمام العداء والضغينة بين عائلتي هاتفيلدز وماكويز (Hatfields and McCoys feud)، والذي كان أمرًا دمويًا أدى إلى موت اثني عشر شخصًا على الأقل من هاتين العائلتين. لكن بالرغم مما تردد من حكايات حول طول أمد هذه الضغينة، لكنها تلاشت في النهاية بعد بضعة عقود.

لكن لم يكن من شأن العداوة بين نسل الحية ونسل المرأة أن يتلاشى خلال جيل أو إثنين، بل كان سيستمر إلى أجيال كثيرة. ظن آدم وحواء أنها قد تنتهي في الجيل الثاني. ففي حقيقة الأمر، حين وُلد قايين، ابنهما الأول، قالت حواء: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ» (تكوين ٤: ١). يُترجَم هذا النص حرفيًّا كالتالي: "يا رب، قد اقتنيت رجلًا". وفي حين تقبل هذه العبارة الكثير من التفسيرات، لكن يمكن أن نفهم أنها تعني: "اقتنيت رجلًا من الرب"، بمعنى أن حواء ظنت أن هذا ربما كان النسل الموعود الذي سيسحق نسل الحية.

لكن برهن ابن حواء نفسه فعليًا أنه بشكل كبير من نسل الحية، وليس من نسل المرأة. لم يسحق قايين رأس الحية، بل في المقابل، سحق رأس أخيه. يكاد الأمر يبدو وكأن الحية كانت تحاول أن تطيح بكلمات تكوين ٣: ١٥ جاعلة ابنًا للمرأة يسحق رأس الآخر.

لكن في محاولة الحية فعل ذلك، كان كلُّ ما فعلته هو تتميم كلمات تكوين ٣: ١٥ للمرة الأولى من بين مرات كثيرة. أخبر الله الحية بأن جزءًا من العداوة بين نسلها ونسل المرأة هو أن نسل الحية سيسحق عقب نسل المرأة. وفي مفارقة بارعة، كانت المحاولات المحتدمة من الحية لسحق نسل المرأة هي في الأساس مجرد كدمات على عقبه.

ربما ظنت الحية للحظة أنها قد أبادت نسل المرأة، لكن لن يموت نسل الله الموعود بهذه السهولة. فسرعان ما أنجب آدم وحواء ابنًا آخر،

أي نسلًا جديدًا، وهو شيث (تكوين ٤: ٢٥)، واستمر نسل الوعد من خلاله. لكن هل سيكون شيث هو مَن سيسحق رأس الحية؟

إن واصلنا القراءة في سفر التكوين، سرعان ما سيتضح لنا أن شيث لم يكن ذلك الرجل. لكن في حقيقة الأمر، سرعان ما نجد تهديدًا خطيراً آخر من نسل الحية.

فبينما كان نسل آدم وحواء يتممون الوصية بأن يثمروا ويكثروا، يبدو أن غالبية هذا النسل كان يحيد إلى صفوف نسل الحية. فقد كانوا، نظير قايين من قبلهم، يهربون من مخطط الله الأصلي ومن وصيته بأن يمثلوه كحملة لصورته في الخليقة. وبدلًا من أن يخدم البشر الله كممثليه في عالم ساقط، فيما ينتظرون تتميمه لوعد تكوين ٣: ١٥، استمروا في الإكثار من شرهم.

وإذ كانت نبوة تكوين ٣: ١٥ تتكشف تدريجيًّا في الأصحاحات الأولى من الكتاب المقدس، نتمكن من رؤية موضوعين محوريين على الأقل يسريان طوال بقية تاريخ الخلاص. أولًا، حقيقة العداوة بين نسل الحية ونسل المرأة. فمنذ قتل هابيل وحتى تزايُد شر الجنس البشري، يبدو واضحًا أن الحية كانت جادة باستمرار وطوال الوقت بشأن مقاومة خطة الله لنسل المرأة. وبسبب هذا، نستطيع أن نلحظ فكرة هامة ورئيسية ثانية: التزام الحية ونسلها بفعل كل ما في الإمكان للإطاحة بنبوة الله، وسحق رأس نسل المرأة. لكن كانت نتائج هذه المحاولات مجرد تأكيد على النبوة

نفسها: فمهما حاولت الحية أو نسلها، لم يكن بوسعهم سوى أن يسحقوا عقب نسل المرأة.

لكن دعونا لا نسيء فهم ما يحدث هنا: لا يشبه هذا اليين واليانغ[٥]، حيث ينتظر الجميع ظهور نسل المرأة لتحقيق توازن القوى. لكن الحقيقة هي أنه حين يقرر الله أن يُظهِر لنسل الحية ما يستطيع أن يفعله وما سيفعله، حينئذ يصير **الاختلال** الحقيقي لتوازن القوى واضحًا وضوح الشمس.

نستطيع أن نرى يد الله السيادية في كلِّ شيء في موضعين في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين. أولًا، حين وصل شر الإنسان إلى ذروته، قرر الله إبادة نسل الحية بأكمله في الطوفان. كان نسل المرأة الحقيقي المتبقي هو فقط نوح وأهل بيته. فقد هلك نسل الحية، واستُعلنت دينونة الله العادلة، مظهِرة جديته بشأن إدانة الخطية. وعلينا ألا ننسى أن دينونة الله آتية على مَن يواصلون تحدي ربوبيته وسلطانه عليهم.

لكن، لم تكن هذه هي النصرة النهائية والحاسمة لنسل المرأة، لأن ابن نوح نفسه سرعان ما حاد إلى صفوف نسل الحية. وبحلول الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين، كان نسل الحية قد بدأ في الازدهار ثانية. أراد هذا النسل أن يصنعوا لأنفسهم اسمًا ببناء برج. ولكن، مرة

[٥] المترجم: فلسفة صينية تعبّر عن الازدواجية أو الثنائية في نظامنا الكوني، فلا وجود لـ "يين" إلا بوجود "يانغ"، والعكس صحيح، مثل النور والظلام، والذكر والأنثى، والأبيض والأسود.

أخرى، نرى استعلانًا لقوة الله السيادية. فقد جلب البلبلة والفوضى كدينونة، وبالتالي أوقف خططهم بشأن تعظيم أنفسهم عند برج بابل.

نستطيع أن نرى إذن أن تكوين ٤-١١، بل وبقية الكتاب المقدس كله، هو في الحقيقة مجرد تتميم لوعد تكوين ٣: ١٥. ففي حين كانت العداوة بين نسل المرأة ونسل الحية معركة حقيقية ودائمة، إلا أن الوعد الوارد في هذه الكرازة الأولى بالبشارة لم يكن يومًا في الحقيقة محل شك. وفي الفصل التالي، سنلتقي برجل سيواصل الله من خلاله تحقيق هذا الوعد، وسيؤكد التزامه عن طريق عهدٍ.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الفداء

نسل المرأة

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدَّى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة.

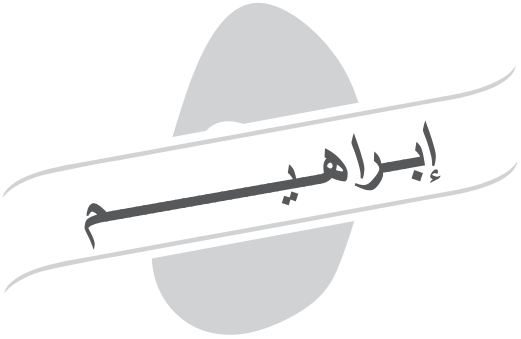

تَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ.

تكوين ١٢: ٢-٣

في الوقت نفسه الذي اشتدت فيه نتائج لعنة الله على البشر، واحتدم النزاع بين نسل الحية ونسل المرأة، كان الله يعمل لتتميم وعد تكوين ٣: ١٥ — أن يسحق نسل المرأة الحية يومًا ما. ولتحقيق هذه الغاية، دعا الله رجلًا واحدًا كي يكون أداةً من خلالها يجلب بركاته المخلِّصة إلى العالم. وعند برج بابل، حاول مَن انضموا إلى صفوف نسل الحية أن يصنعوا لأنفسهم اسمًا (تكوين ١١: ٤)، لكننا سنرى في المحطة التالية مِن جولتنا عبر الكتاب المقدس كيف اقتضت خطة الله أن يأخذ رجلًا واحدًا ويصنع له اسمًا.

جاء الله إلى رجل يدعى أبرام (الذي تغير اسمه لاحقًا إلى إبراهيم) قائلًا له وعدًا مذهلًا:

> فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. (تكوين ١٢: ٢-٣)

قبل أن تبدأ في التساؤل بشأن ما جعل إبراهيم عظيمًا بهذا القدر، لنكن واضحين — لم يدعُ الله إبراهيم ويقطع له وعدًا بتعظيم اسمه لأنه كان باراً للغاية أو لأنه كان في شدة النبل. بل في حقيقة الأمر، كان إبراهيم عابد أوثان، أي عابدًا لآلهة أخرى (يشوع ٢٤: ٢). لم يكن في إبراهيم ما جعله جديراً بشكل خاص بأن يدعوه الله.

لكن كان إبراهيم، على خلاف بناة برج بابل، مهتمًا بشؤونه الخاصة، ولا يطلب لنفسه اسمًا عظيمًا. لم يقرر الله أن يعظّم اسم إبراهيم لأنه بنى برجًا يجلب له الشهرة والصيت. بل في المقابل، بادر الله بنعمته، وقطع عهدًا مع إبراهيم، مختاراً إيّاه كي يكون ذاك الذي من خلاله يأتي نسل المرأة.

ظهر الله لإبراهيم وقطع له أروع الوعود — وهي وعود ساهمت في دفع وعد تكوين ٣: ١٥ إلى الأمام، وفي الآن ذاته قدمت المزيد من التفاصيل عن خطة الله للفداء. لأجل هذا، ثمة أهمية أن نتوقف في هذه المرحلة من جولتنا عبر الكتاب المقدس لنتناول وعود الله التي قطعها

لإبراهيم في تكوين ١٢: ٢-٣. في هذا النص المذهل، قطع الله وعدين رائعين: بأن يجعل إبراهيم أمة عظيمة، وأيضًا بركة عظيمة.

مجمل الأمر إذن هو: ماذا يلزم لصنع أمة عظيمة، بل وأية أمة؟ يمكن أن نذكر القوانين، والقادة، وربما قوة عسكرية شديدة، وجميع هذه على الأرجح مكونات هامة. لكن كي تصمد أية أمة، سواء كانت عظيمة أو صغيرة، فهي تحتاج أرضًا وشعبًا.

كانت مشكلة إبراهيم تكمُن في أنه لم يكن لديه أيٌّ من هذين. أول كل شيء، لم يكن يملك أرضًا أو موطنًا، بل كان رحالة، راعي غنم متجول. ففي حين ربما جمع أبوه قدراً معينًا من الثروة من حيث الماشية، لكن لم يكن لأي قدر من الماشية أن يعوِّضه عن عدم امتلاكه أرضًا. لكن هنا وعده الله بأرض — بموضع يسكن فيه الله مع شعبه.

يذكر تكوين ١١: ٣٠ أيضًا أن زوجة إبراهيم، ساراي (التي تغير اسمها لاحقًا إلى سارة)، كانت عاقراً. فبينما كان لديهما بالتأكيد كثرة من الخدم والعبيد، لكن لم يكن لإبراهيم وسارة أبناء يرثوهما. في ذلك الوقت، كان إبراهيم يبلغ من العمر حوالي خمسة وسبعين عامًا، وسارة حوالي خمسة وستين عامًا — أي لم يكونا في العمر النموذجي لإنجاب أبناء. وحين يموتان، كانت كل ممتلكاتهما ستذهب إلى عائلة أخرى. لكن في هذا النص وعد الله أن يجعل إبراهيم، ذاك الرحالة الذي بلا أرض وبلا أبناء، أمة عظيمة.

أيضًا وعد الله بأن يكون إبراهيم بركة لجميع قبائل الأرض. قد تظن أنه بما أن إبراهيم كان يملك المال، فلا بد أنه كان قادراً على تحقيق هذا الوعد بنفسه. ألا نميل، في النهاية، حين نفكر في بركة الله، إلى فهمها بمفردات الأمور المالية والرخاء المادي؟

لا تخبروا العاملين في "شبكة ترينيتي التليفزيونية" (Trinity Broadcasting Network)[٦] بهذا، لكن الرخاء المادي ليس هو المؤشر الرئيسي على بركة الله. هل تتذكر جنة عدن؟ ماذا كانت البركة الأعظم التي أعطاها الله لآدم وحواء؟ كانت هذه البركة هي الوجود في محضر الله نفسه، ومعرفته، وعبادته. وبالتالي، حين نفكر في البركة التي وُعد بها إبراهيم، نجد أن جزءًا كبيراً منها هو حضور الله. وإذ نشأ إبراهيم في عائلة وثنية، فهو إذن لم يكن المرشَّح الأفضل تمامًا لدور وسيط الله لدى العالم. ومع ذلك، كان وعد الله له هو أن به تنال جميع قبائل الأرض بركة. لم يقصد الله قط أن تقتصر بركته على عائلة واحدة أو أمة واحدة، بل كان المراد أن يتسع نطاقها إلى كلِّ المسكونة.

هكذا إذن، كان إبراهيم شيخًا بلا أبناء، أو أرض أو بيت، وعابدًا للأوثان. بدا هذا الرجل إذن مرشحًا مستبعَدًا لدور ذاك الذي من خلاله يتحقق وعد الله بسحق رأس الحية. لكنه بدا، في المقابل، مرشحًا أفضل ليكون من نسل الحية، وليس من نسل المرأة. لكن فيما اتضحت قصة

[٦] المترجم: TBN هي أكبر شبكة تليفزيونيّة للبرامج المسيحيّة في العالم، تدَّعي أنها تقدم كلمات الرجاء والخلاص، ولكنها مليئة بمحتوى لاهوت الرخاء.

الفداء تدريجيًا، نكتشف أن الله كثيراً ما يستخدم أناسًا مستبعَدين، وطرقًا مستبعَدة لتتميم مقاصده. فقد تدخل الله بطرق مذهلة للتغلُّب على العوائق الظاهرية في حياة إبراهيم.

وفي الأيام التي تلت وعود الله في تكوين ١٢، كان لدى إبراهيم وسارة كثرة من الأسباب التي تدعوهم إلى الشك في كلمة الله. فقد تقدَّما في العمر؛ وفيما تحولت السنوات إلى عقود، لم ينجبا ابنًا أيضًا. وفي مرحلة ما، حاولا التحكُّم في زمام الأمور، فأقنعت سارة إبراهيم بإنجاب ابنٍ من جاريتها، هاجر. لكن لم يكن من شأن التلاعب بالله أن يكون بهذه السهولة. كان ابن إبراهيم وسارة، وليس إبراهيم وهاجر، هو من سيصبح وريث وعود الله في العهد.

حتى بعد مرور السنوات، وبقاء الزوجين بلا أبناء، ظل الله يكرِّر وعوده لهما، غير اسم أبرام، الذي يعني "أبًا ممجَّدًا" أو ما شابه ذلك، إلى إبراهيم، الذي يعني "أبًا لجمهور كثير"؛ كما غير اسم ساراي إلى سارة، الذي يعني "أميرة".[٧] فقد كانت سارة عتيدة أن تصير أمًا لأمة.

وأخيراً، بعد خمسة وعشرين عامًا من ظهور الله لإبراهيم في الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، تحقق الوعد، ورُزق إبراهيم وسارة بابن، وسُمِّي إسحاق. وعن طريق هذا الابن، كان الله عتيدًا أن

[٧] ليس واضحًا تمامًا معنى اسم ساراي، وما إن كان له معنى مختلف جوهريًا عن اسم "سارة". لكن على أقل تقدير، نستطيع أن نقول إن هذا الاسم الجديد أضاف تشديدًا على دور سارة كأم للأمة.

يجلب البركة إلى العالم. فمن خلال نسل إبراهيم كان الله سيسحق يومًا ما رأس الحية.

لكن كان الأمر سيستغرق وقتًا. ففي بقية سفر التكوين، نلتقي ببقية نسل بيت إبراهيم. وُلد لإسحاق ابنان، يعقوب وعيسو. وعن طريق بيت يعقوب، استمر نسل الوعد، وابتدأت شجرة العائلة حقًا في التفرُّع والامتداد. وكما وعد الله تمامًا، كان هذا البيت يتحول إلى أمة.

وهكذا، في السنوات التي تلت وعود الله الأولى في تكوين ١٢، وضع الله الأساس لتضاعُف نسل بيت إبراهيم، محولًا هذا النسل إلى أمة. لكن لم تكن لديهم بعد أرض. وفي حين أخبر الله إبراهيم بأنه سيعطي نسله الأرض الممتدة من نهر النيل إلى نهر الفرات — أي من مصر الحديثة وحتى العراق — لكن لم يكن من شأنهم أن يحصلوا عليها في الحال؛ بل كان عليهم الذهاب إلى مصر، والانتظار لمئات الأعوام قبل أن يحصلوا أخيراً على الأرض. لكن كان الوعد مضمونًا. كان الله عازمًا على مباركة شعبه في الموضع الذي سوف يعطيهم إياه.

كان آخر الوعود التي قطعها الله لإبراهيم هو أن تتبارك جميع قبائل الأرض من خلاله. لكن كي يكون إبراهيم بركة لآخرين، كان عليه أن ينال أولًا بركة من الله. وهذا هو ما حدث تمامًا. ففيما كان الوعد يتكشّف بمرور الوقت، أخبر الله إبراهيم بأنه سيكون «إِلهَهُمْ» (تكوين ١٧: ٧-٨).

لم يكن وعد الله بأن يكون إلههم شيئًا هينًا. فبهذه الكلمات، كان الله يَعِد بأن يعطي إبراهيم ونسله البركة نفسها التي أعطاها لآدم وحواء: أي أن يسكن معهم، إلهًا لهم، وهم شعبًا له. لكن يثير هذا سؤالًا: ما الذي يمكن أن يمنع إبراهيم ونسله من إفساد الأمر كما أفسده آدم وحواء؟ كيف يمكن أن يضمن الله أنهم لن يكسروا هذا العهد أيضًا؟

في الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين، نجد جوابًا مذهلًا على هذا السؤال. فبعد حوالي عام من ميلاد إسحاق، جاء الله إلى إبراهيم، في رؤيا عجيبة. طلب الله من إبراهيم أن يذبح بعض الحيوانات، وأن يشق الجثث من الوسط. ثم ظهر له الله في رؤيا في صورة تنور دخان ومصباح نار، عابراً بين أنصاف الحيوانات.

بينما يبدو هذا المشهد غير المألوف غامضًا لدى الكثيرين اليوم، لكن كان معناه واضحًا في العالم القديم. فقد جرت العادة أنه حين يدخل طرفان في عهد، كانا يذبحان حيوانات ويشقاها كما فعل إبراهيم تمامًا. ثم كان الطرفان يجتازان بين الحيوانات معًا، كوسيلة يقول بها أحدهما للآخر: "لأكُن كهذه الحيوانات إن أخفقت في حفظ هذا العهد".

لكن في رؤيا تكوين ١٥، اجتاز الله بين الحيوانات المشقوقة وحده، ملزِمًا نفسه بهذا بكلا جانبي العهد. لم يكتفِ بأن يتعهد هو نفسه بحفظ الوعود، لكنه كان يتعهّد أيضًا بأنه إن أخفق إبراهيم في البقاء على ولائه وحفظ العهد، كان هو — أي الله! — من سيتحمّل عواقب ذلك الإخفاق.

كان الله بهذا يُلزِم نفسه بوعود تكوين ١٢: ٢–٣ وفي الآن ذاته بواجبات نشر البركة إلى جميع قبائل الأرض. في هذا المشهد المذهل، كان الله يربط مصيره بمصير نسل إبراهيم!

في الفصول التالية، سنرى استمراراً في تتميم هذه المواعيد وازديادها، لكن يكمُن أساس بقية ما يأتي في قصة إبراهيم. فقد كان إبراهيم هو مَن أعلن له الله أن نسل المرأة سيأتي من بيته، وكانت الرؤيا التي رآها إبراهيم هي التي أظهر فيها الله التزامه التام بتتميم هذه المواعيد — حتى أنه كان على استعداد أن ينضم بنفسه إلى هذا النسل.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

نسل إبراهيم

العهد

الأرض

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، كانت بركات العهد ستأتي إلى العالم.

٦
يهـــوذا المـــلك

لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا.

تكوين ٤٩: ١٠

إن كنتَ قرأتَ كتب "حكايات نارنيا" للكاتب سي. إس. لويس، فلا بد أنك تَعلَم أن أحد الأفكار الرئيسية المتكررة في السلسلة هو أن نارنيا، كما يقول حويان الغرير: "لم تكن يومًا في وضع جيد إلا حين ملك عليها ابنٌ لآدم".[٨] سواء كان هذا الابن هو بيتر، أو سوزان، أو إدموند، أو لوسي، أو سلالة كاسبيان، كانت أفضل أيام نارنيا على الإطلاق هي حين كانت تحت حُكم نسل آدم. أعتقد أن لويس كان يدرك بعض الأشياء عن صورة الله وعن تكليف آدم وحواء.

[8] C. S. Lewis, *Prince Caspian* (New York: HarperTrophy, 2000), 69.

في حين كان لويس يكتب عن عالم مليء بالحيوانات والأشجار الناطقة، لكن تنطبق هذه الفكرة على العالم الواقعي أكثر مما على نارنيا. ففي نارنيا، كان الملك الأعلى هو الأسد أسلان. لكن في العالم الواقعي، الملك الموعود هو ابنٌ حقيقي لآدم، ابنٌ لإبراهيم، وكما سنرى في هذا الفصل، ابنٌ ليهوذا.

نسمع، عبر كل الكتاب المقدس، الكثير عن وعود الله لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب — الذين يُطلَق عليهم عادة الآباء (the patriarchs). وقد ساهم عهد الله مع الآباء في دفع الوعد الذي قطعه لآدم وحواء في الجنة إلى الأمام، وكان هو الوسيلة التي بها خطط الله كي يردَّ بركة حضوره إلى العالم. وبينما كانت عهود أخرى عتيدة أن تأتي، لكنها كان الوعد الواحد سيُبنى فوق الآخر فيما كان الله يعمل لتتميم مواعيده لإبراهيم.

لكن حين نتطلع إلى سلوك الآباء، لا نرى بالتحديد سجلَّ إنجازات نموذجيًا. لن يؤدي بنا الكثير عن حياتهم إلى الاعتقاد بأنهم سيكونون فعالين في تتميم مقاصد الله الفدائية لأجل العالم.

فقد كذب إبراهيم بشأن كون سارة امرأته، معرِّضًا إيّاها لخطر الاغتصاب — مرتين. كما حذا إسحاق حذو أبيه، منكراً زواجه من رفقة، زوجته، كي يحافظ على حياته. أيضًا تلاعب يعقوب، ابن إسحاق، بأبيه وبأخيه، عيسو، كي يحصل على ميراث أكبر. ثم هدّد عيسو

بقتل يعقوب، وبالتالي اضطر يعقوب أن يحيا مغتربًا لعقود. وبينما كان مغتربًا، تزوج من أختين بسبب خداع أبيهما له، إذ زوّجه من أخت غير تلك التي أحبها. ومن هاتين الزوجتين، بالإضافة إلى جاريتيهما، أنجب يعقوب اثني عشر ابنًا. لكنه أحب ابنه الحادي عشر، يوسف، أكثر من الجميع، مما دفع إخوة يوسف إلى أن يبيعوه عبدًا، وإخبار والدهم بأنه قد مات. وهذا مجرد جزءٍ من القصة!

ولكن، في خضم كل هذا الاختلال الوظيفي، كان الله يعمل لحفظ نسل الموعد. ونتعلَّم من هذا أن مقاصد الله الخلاصية لا تتوقف البتة على إنسان. فقد كان الله هو من سيتولَّى مسؤولية طرفي عهده، كما وعد إبراهيم، لكنه مع هذا تعهد بتتميم وعوده من خلال نسل بيت إبراهيم.

إن كنتَ قرأتَ سفر التكوين، فستعلم أن يوسف يلعب دوراً هامًا في الجزء الأخير من السفر. وكان السبب الذي لأجله لعب يوسف هذا الدور هو وعد الله لبيت إبراهيم. فقد استخدم الله يوسف لحفظ نسل إبراهيم، نسل الموعد. وبعناية الله، ارتفع يوسف إلى مرتبة الرجل الثاني في مصر. وبحكمة الله، أعدَّ سكان المنطقة بأكملها — بما في ذلك إخوته — لمواجهة مجاعة دامت سبع سنوات. وحين جاء إخوته لشراء الحبوب التي خزنها يوسف، تصالح يوسف مع عائلته، وأتى والده، مع جميع إخوته، للسكنى معه في مصر. وبالتالي، لم تكن حياة يوسف تتعلق بقميص ملوَّنٍ، بل ولم تكن تتعلق بأخلاقه الرفيعة (مع أن هذا بالتأكيد كان هامًا).

بل في المقابل، كانت قصة يوسف تتعلق بوعد الله بحفظ شعبه، حتى في مواجهة موت ظاهر. وبينما كان نسل الحية يحاول إبادة نسل إبراهيم، حفظ الله يوسف حتى يتسنَّى له أن يحفظ حياة إخوته.

وحين ننتقل إلى نصنا التالي، تكوين ٤٩: ١٠، نرى أنه في حين استخدم الله يوسف لإنقاذ العائلة من المجاعة والموت، إلا أنه اختار أخًا آخر ليضع به أساسًا لسُلالة مَلَكية. فقد خُلق آدم وحواء كي يساعدا في إدارة ملكوت الله، والتسلُّط نيابة عنه. فإنهما، من ناحية، كان من المفترَض أن يكونا ملكًا وملكة. وبالتالي، ينبغي ألا نفاجَأ حين نجد الله يقطع وعودًا ملكية.

حين كان يعقوب، حفيد إبراهيم، على فراش الموت في أرض مصر، بارك كلَّ واحد من أبنائه بركة مختلفة. لكن حين وصل إلى يهوذا، نطق ببركة مَلَكية:

لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا
وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ
حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ
وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. (تكوين ٤٩: ١٠)

إن طُلب منك أن تنتقي واحدًا من أبناء يعقوب ليكون أبًا لمَلِك، فمَن ستختار؟ على الأرجح سيكون يوسف هو خيارك الأول. وبعد هذا، ربما

يقع اختيارك على رأوبين، لأنه هو الأكبر سنًا. لكن تستغرق الكثير حتى يقع اختيارك على يهوذا.

فإن غالبية ما نعرفه عن يهوذا صعب وقاسٍ بشكل كبير. كانت المرة الأولى التي نسمع فيها صوته هو حين طرح إخوة يوسف أخاهم في بئر، ثم حاولوا اتخاذ قرار بشأن ما يفعلونه به. وهنا اقترح يهوذا عليهم أنهم ربما بدلًا من قتله، يمكنهم التخلص منه، وفي الآن ذاته ربح بعض المال، ببيعه عبدًا (تكوين ٣٧: ٢٦-٢٧). ومنذ ذلك الحين، سارت الأمور إلى حالٍ أسوأ. وبينما كان يوسف يَذبُل ويعاني في مصر، مات الابن البكر ليهوذا دون أن ينجب أبناءً. وكما جرت العادة، تزوج ابن يهوذا الثاني من أرملة أخيه، لكنه مات أيضًا دون أبناء. وبدلًا من أن يسمح يهوذا لثامار، كِنَّته، بالزواج من ابنه الثالث، كي يستمر نسل عائلته، أرسلها يهوذا إلى بيتها. لكن احتالت ثامار على يهوذا نفسه، وجعلته يضطجع معها، وأنجبت منه توأميه. وبهذا، صار أبًا وجدًا في الآن ذاته لحفيديه. كان من الصعب تعويض وإصلاح هذا النوع من العطب!

لهذا النسل المنهدم والمتصدع جاء وعد الله بقضيب المُلك، وصولجان الحاكم[٩]. لكن لم يكن سليل يهوذا سيصبح ملك إسرائيل فحسب، بل أيضًا ملكًا على الأمم. تنبأ يعقوب بأن شيلون[١٠] وخضوع

[٩] "مشترع" في الترجمة العربيّة.

[١٠] المترجم: تُرجمت هذه الكلمة في الترجمة الإنجليزية ESV "الجزية" (tribute).

الأمم سيكونان من نصيب الابن الملكي ليهوذا — وهو وعد من العجيب أن يُقطع لرجلٍ كهذا.

ينبغي ألا تفاجئنا هذه الوعود بشأن الأمم. تَذَكَّر جيدًا وعد الله لإبراهيم: «تَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». فإن كان قصد الله هو أن يستعيد، بل ويوسع من نطاق، تكليف آدم وحواء المختص بمساعدته في التسلط على هذا الملكوت المسكوني — وحقًا هو كذلك — فإننا إذن بإمكاننا توقُّع امتداد بركة إبراهيم إلى الأمم عن طريق سليل ملكي لإبراهيم. كان هذا هو ما يحدث هنا تمامًا. فإن واحدًا من نسل إبراهيم — وبأكثر تحديد، كما يظهَر من هذا النص، واحدًا من نسل يهوذا — سيبارك الأمم، ليس هذا فحسب، لكنه في أثناء هذا، سيجدد بل ويوسع من نطاق وجود ملكوت الله في هذا العالم.

وهكذا، في تكوين ٤٩، نكتشف أن نسل إبراهيم هو أيضًا نسلٌ مَلَكِيٌّ، أي ملكٌ تتبارك فيه الأمم. وحين نتذكَّر الكيفية التي حفظ بها الله شعبه بواسطة يوسف، بل واستخدم التصرفات العشوائية المنحرفة ليهوذا كي يحفظ نسل الموعد، نستطيع أن نرى التزامه الثابت الذي لا يلين بحفظ وعوده المخلِّصة.

من سفر التكوين، نتعلَّم أن نسل المرأة، ونسل إبراهيم الموعود به، والنسل الملكي ليهوذا سيكون هو الأداة التي من خلالها سيتمم الله تعهُّده بسحق رأس الحية. لكن في ختام هذا السفر الأول من الكتاب المقدس،

نجد أن نسل إبراهيم، أي نسل الموعد، لم يتمم بشكل نهائي وتام مواعيد الله — على الأقل لم يتممها بعد.

ربما تتساءل في هذه المرحلة إن كان عنوان هذا الكتاب مضلِّلًا. فقد وصلنا بالفعل، في النهاية، إلى ثلث الطريق، ولم نخرج بعد من سفر التكوين! دعني أطمئنك بأن هذا متعمَّد. فإن هدفنا هو أن نسير عبر قصة الكتاب المقدس من خلال تناوُل بضعة نصوص رئيسية مفتاحية. لكن كي نستوعب القصة الأساسية للكتاب المقدس، علينا أن نكتسب فهمًا واضحًا لبداية القصة. وفي حقيقة الأمر، توجد المزيد من أجزاء سفر التكوين التي كان بإمكاننا، بل وكان ينبغي، أن نتناولها. فإننا لم نصرف وقتًا في الحديث عن الطوفان، أو وعود الأرض، أو التلميحات إلى الذبائح، التي نجدها في قصة قايين وهابيل، ونوح، وإبراهيم. لكننا قد رأينا الهيكل الأساسي للعهد في سفر التكوين، وهذا هو أساس بقية قصة الكتاب المقدس، بل وفي الحقيقة، بقية التاريخ.

الآن سنُسرِع من إيقاع سيرنا، وسنتجاوز بسرعة شديدة الكثير من الموضوعات الرئيسية. في الفصل التالي، سنحوِّل انتباهنا إلى الكيفية التي بها دفعت الذبائح وشريعة موسى قصة الكتاب المقدس والمواعيد الخلاصية إلى الأمام.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

المملكة

نسل (يهوذا)

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، كانت بركات العهد ستأتي إلى العالم.

خـــروف الفصـــح

يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ.

خروج ١٢: ٢٣

"لماذا كل هذه الأفعال والأحداث الدموية في الكتاب المقدس؟ ألم يكن بإمكان الله أن يتخطَّى الناموس، بذبائحه ولوائحه العجيبة، ليتَّجه إلى البشارة مباشرة؟"

إن كنتَ قد سألت نفسك يومًا هذه الأسئلة، فإنك لستَ وحدك في هذا. يصارع مؤمنون كثيرون لفهم ضرورة ناموس موسى. وبينما أعجز ربما عن إجابة جميع أسئلتك في كتابٍ بهذا الحجم الصغير، لكنني أريد في هذا الفصل أن أسلِّط الضوء على الناموس، ولا سيما على ذبائحه، عن طريق التركيز على خروف الفصح الذي يرد الحديث عنه في الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج. لكن كي نصل إلى هذا النص،

نحتاج أن نُسرِع من سير الأحداث حوالي أربعمائة وثلاثين عامًا مِن محطتنا السابقة. وكما ذكرتُ في الفصل السابق، حان الوقت كي نُسرِع من إيقاعنا قليلًا!

في بداية سفر الخروج، نكتشف أن بيت إبراهيم فعليًّا قد ازداد ابتعادًا عن السكنى في موضع الله، وعن نشر البركة إلى الأمم، أكثر مما حين توقفنا. فبعد نزول بيت إبراهيم إلى أرض مصر في عهد يوسف، استقروا هناك، وبدأوا يكثرون ويتزايدون. وفي أثناء القرون الأربعة التالية، تحولوا من عائلة يبلغ عددها سبعين نفسًا، جاء بها يعقوب من فلسطين، إلى أمة تبلغ حوالي مليوني شخص، صارت تُعرَف باسم بني إسرائيل، بحسب الاسم الجديد، إسرائيل، الذي أعطاه الله ليعقوب. ولا يدهشنا أن نعرف أن المصريين اعتبروهم مصدرَ تهديدٍ لهم — ولا سيما بعد أن تولَّى الحكم ملكٌ جديد لم يكن يعرف يوسف. وبالتالي، استعبد المصريون بيتَ إبراهيم، وسخَّروهم في العمل الشاق. وبالتالي، كانت هذه الأمة لا تزال خارج أرض الموعد، وتحت قمع المصريين. والحقيقة هي أنهم كانوا في حاجة إلى إنقاذ!

كان نسل الحية، الذي يجسده هنا المصريون، ثائراً ومهتاجًا كي يحاول محو وإبادة نسل موعد الله. فكي يبطئ فرعون، ملك مصر، من نمو بيت إبراهيم، أمر بقتل جميع الصبيان الذي يُولدون لبني إسرائيل. لكن نجا طفل واحد من هذا المصير. أُنقِذ موسى، وتربَّى داخل بلاط

فرعون، وفي النهاية دُعي كي يُخرِج شعب الله من العبودية (بعد أن واجه بعض المتاعب في الطريق).

استمع الله إلى أنين شعبه، ويخبرنا خروج ٢: ٢٤ بأنه «تَذَكَّرَ ... مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ». فقد كان الله قد تعهّد بحفظ عهده الذي قطعه مع الآباء، وكان هنا يخطو الخطوة التالية لتتميم هذا من خلال إخراج شعبه من العبودية، وتسليمهم الناموس. وهكذا، بغض النظر عن أي شيء آخر يمكن أن نقوله بشأن الناموس ووصاياه، لا يسعنا أن ننسى أنه كان استمراراً لمواعيد الله لإبراهيم، التي هي فعليًا استمراراً لوعده المُخلِّص لآدم وحواء.

كيف بالتحديد أنقذ الله شعبه من العبودية في أرض مصر؟ في حين أظهر الله قوته للمصريين في عشر ضربات، لكننا نجد الإجابة الرئيسية على هذا السؤال في الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج، حيث ورد ذكر الضربة الأخيرة، أي قتل جميع أبكار مصر. ففي الليلة التي سبقت إنقاذ الله لشعب إسرائيل من مصر نهائيًّا، أمر الله كلَّ بيت إسرائيلي بتقديم خروف ذبيحة، ورش دمه على العتبة العليا لباب المنزل والقائمتين. ثم قال لهم:

> فَإِنَّ ٱلرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ ٱلْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى ٱلدَّمَ عَلَى ٱلْعَتَبَةِ ٱلْعُلْيَا وَٱلْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ ٱلرَّبُّ عَنِ ٱلْبَابِ وَلَا يَدَعُ ٱلْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ. (خروج ١٢: ٢٣)

بشكل مباشر للغاية، أنقذ الله شعبه بدم خراف الفصح. وبسبب تقديم الخراف كذبائح، لم يكن على الشعب أن يموتوا. وبسبب سفك دم الخراف، صار أبكار بيت إبراهيم في أمان.

كان لا بد أن يتم الأمر بهذه الطريقة لأن حكم الموت لم يكن على المصريين وحدهم، بل كان بنو إسرائيل مذنبين بقدرهم تمامًا، إن لم يكن أكثر. ففي حين كان المصريون مذنبين بعبادة آلهة أخرى كثيرة، كان بنو إسرائيل مذنبين بكلٍّ من عبادة الأوثان، والتشكك في وعود الله بأن يخلِّصهم.[١١] وسرعان ما تشكَّكوا في وعود الله بعد أن زاد فرعون من أعباء عملهم (خروج ٥: ٢١). بل وحتى بعد أن أعتقهم الله من مصر، ظلوا يشكُّون به عند البحر الأحمر، وعند جبل سيناء، وفي البرية. فإنهم، نظير آدم وحواء، قد تشككوا في صحة كلام الله. وبسبب هذا، كانوا، نظير آدم وحواء، واقعين تحت حكم الموت. لكن حين أدان الله مصر، دبَّر منفذًا لشعبه. وشكّل هذا المنفذ الأساس للناموس الذي كان على وشك أن يعطيهم إيّاه.

فيما كان الرب يجتاز في مصر، ضاربًا جميع الأبكار، عَبَر عن البيوت التي وضعت علامة دم الخراف. فقد ماتت الخراف كي لا يموت الأبكار. ومع أننا رأينا قبلًا تلميحات إلى هذا، لكن يعد هذا واحدًا من أقدم الأمثلة الصارخة عن المبدأ الكتابي الهام الذي سمَّى البدليّة

[١١] إن كنت لا تصدقني، اقرأ حزقيال ٢٠: ٤-٣٢. فقد قال الله إنه حتى حين كان بنو إسرائيل عبيدًا في مصر، لم يتركوا آلهة المصريين.

(substitution). فقد كانت خراف الفصح بديلًا عن أبكار إسرائيل. وفي هذا الفصح الأول، اعتبر الله ذبائح الخراف كافية لخلاص شعبه من الدينونة — على الأقل آنذاك.

لكن كانت هناك مشكلة كبرى تكمُن في هذه الذبيحة: سرعان ما كان الشعب سيحتاج إلى ذبيحة أخرى. فكما رأينا منذ قليل، أخطأ الشعب في الماضي بصورة متكررة، ولم يكن سيمر الكثير دون أن يخطئوا ثانية، مراراً وتكراراً. وحتَّى يوجه الله عيون بني إسرائيل إلى إخفاقهم المستمر في الاتكال على صدق كلمات الله، وحاجتهم المستمرة إلى الغفران، أعطاهم الناموس.

منذ أن عبر الله ببني إسرائيل البحر الأحمر وحتى وصل بهم إلى سفح جبل سيناء، ظل يدبر لهم منافذ ووسائل نجاة. وقد سلَّمهم ناموسًا كي ينظمهم كأمة، ويعلِّمهم عن قداسته، وعن مطالبه من شعبه. فقد قطع لهم عهدًا مليئًا بالاشتراطات والقواعد، لكن كان ذلك العهد مبنيًا على كلٍّ من مواعيده السابقة لإبراهيم، وعمل نعمته الذي تمثَّل في عتقهم من عبودية مصر.

وهكذا، أفرز الناموس شعب إسرائيل كأمة، أي "كخاصة" الله (تثنية ٧: ٦). لكن كانت ركيزة الناموس هو نظام الذبائح. فطوال العام، كان على الكهنة اللاويين، أي نسل لاوي ابن يعقوب، تقديم المئات والمئات من الذبائح. وفي حالة حفظ نسل إبراهيم للناموس، كانوا

سيواظبون على تقديم الذبائح الحيوانية. كانت الرسالة التي ينقلها لنا كل ثور وتيس يقدَّم ذبيحة هي: "أنتم تستحقون هذا. كان ينبغي أن تكون هذه دماءكم أنتم".

في كلِّ عامٍ، كانت الأمة تحتفل بهذا الفصح الأول الذي صُنع في مصر. وفي كلِّ عامٍ، كان على كل بيت أن يذبح خروفًا آخر كبديل. ضع نفسك الآن للحظة واحدة في مكان واحد من بني إسرائيل. إن كنتَ أدركت حقًا هدف الذبائح ومعناها، ستفكر هكذا: "إن عاقبة الخطية موت؛ لكن في الجنة، وعد الله بالتغلُّب على نتائج الخطية، وهزيمة الحية نهائيًّا. بالرغم من هذا، عليَّ أن أقدم هذه الذبائح عامًا تلو الآخر. إذن، لا يمكن حقًا أن تكون هذه الذبائح هي التي تهزم الخطية. بل إنني، في الحقيقة، حين أقدم ذبيحة، أقر بأنني أستحق الموت. وهكذا، ما لم يأت شيء أو شخص أعظم، فإن كل ما أفعله هو مجرد تأجيل للمحتوم. أنا في حاجة إلى ذبيحة أعظم!"

بينما كانت لدى الله العديد من المقاصد من الناموس، لكن واحدًا من أوضح وأهم هذه المقاصد هو الإشارة إلى الحاجة إلى ذبيحة أعظم لم تأتِ بعد. هذه الذبيحة حتمًا ستهزم الحية، وتُبطِل نتائج لعنة الله. وبالتالي، ينبغي أن نستنتج أن نسل الموعد سيَهزم بطريقة ما الخطية عن طريق تدبير ذبيحة نهائية وتامة.

افتدى الله شعبه من العبودية في أرض مصر عن طريق **بديل**. وهكذا، تأسست أنماط ونماذج الفداء في وقت مبكر للغاية في الكتاب المقدس. ففي الفصح الأول، نرى النموذج الذي أسَّسه الله في الناموس. ويشير العهد الموسوى بأكمله إلى الحاجة إلى ذبيحة أعظم. أي أنه يوجه أنظارنا إلى نسل الموعد.

وبعد أن تركت أمة إسرائيل حديثة العهد سيناء، تاهوا في البرية لمدة أربعين عامًا بسبب خطاياهم المستمرة — فإنهم مراراً وتكراراً استسلموا للإغراءات في البرية. لكن أدخلهم الله بنعمته في النهاية إلى أرض الموعد. ومنحهم النصرة على الأمم التي كانت تسكن الأرض، حتى أن يشوع، خليفة موسى، أمكنه أن يقول لهم في النهاية: «لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ ٱلصَّالِحِ ٱلَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ ٱلرَّبُّ عَنْكُمُ» (يشوع ٢٣: ١٤).

في هذه المرحلة من القصة، ربما يبدو لنا أن الله كان أخيراً بصدد استعادة الوضع الشبيه بجنة عدن. فقد استلم شعب إسرائيل الإعلان المباشر من الله عن طريق الناموس كي يَحكُمهم، ونالوا بركة الله بحضوره في وسطهم. كما أدخلهم الله إلى الأرض التي وعدهم بها. لكن ظل هذا الشعب، نظير آدم وحواء، يتشكّكون في كلمة الله، ويتمرَّدون على ناموسه، ويشتهون السلوك بمعزل عن محضره. ونظير آدم وحواء، لم يَقنَعوا بحُكم الله لهم. وفي النهاية، طلبوا ملكًا كسائر الأمم مِن حولهم.

صدق أو لا تصدق، هذا هو تمامًا ما أعطاهم الله إيّاه. لكن لم يكن هذا الملك من ذلك النوع الذي سيتمكن في النهاية من قيادة معركة الغلبة على الخطية والموت، تلك الغلبة التي كان ينبغي أن يتطلَّعوا إليها. بل في المقابل، كان شاول ملكًا كما أرادوه تمامًا — كملوك الأمم الأخرى المحيطة بهم، يتكل على القوة العسكريّة، وحكمة البشر، وعبادة الآلهة الزائفة.

لكن لم يكن هذا هو الملك الذي من خلاله ستتم مواعيد الله. كان هذا الملك عتيدًا أن يأتي بعد زمان طويل لاحق.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الفداء

البدلية

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، كانت بركات العهد ستأتي إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل.

وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ.

٢ صموئيل ٧: ١٢-١٣

عدا جوني كاش وقليلين آخرين، لستُ من المعجَبين بمطربي موسيقى الريف.[١٢] لا تسيء فهمي، لست أضمر شيئًا ما ضد هذا النوع من الموسيقى، لكن تبدو غالبية الموسيقى الحديثة من هذا النوع في هذه الأيام مطابقة تقريبًا لغالبية موسيقى البوب — الكثير من الإبهار دون مضمون.

لكنني نشأت بالفعل على الاستماع إلى بعض موسيقى الريف. ولا يفارق ذهني شطر من أحد أغنيات جارث بروكس (Garth Brooks)،

[١٢] المترجم: موسيقى الريف (Country Music) هو نوع من الموسيقى الأمريكية الشعبية المرتبطة بالثقافة الريفية والإقليم الجنوبي من الولايات المتحدة.

يقول: "أحيانًا اشكر الله لأجل صلوات غير مستجابة". بعد ذلك الشطر، ينحدر لاهوت الأغنية بسرعة شديدة؛ والحقيقة لم يكن بروكس يتحدث عن صلوات غير مستجابة، بل عن صلوات لم يستجبها الله كما أراد. لكنني أعلم ما يقصده — على الأقل، أعتقد ذلك. فإن أعطانا الله كل ما نطلبه، فإننا سنكون أشقياء؛ لكنه في رحمته، لا يسمح كثيراً أن تسير حياتنا كما نريد.

هكذا أيضًا، لا يسمح الله لأي إنسان — ولو كان داود الملك نفسه — بأن يُملِي عليه كيفية تنفيذ خطته الفدائية. وكما سنرى في محطتنا التالية، يتعهد الله بتتميم مقاصده بطريقته، وليس بإمكان أي طموح بشري خاطئ، أو أيّة رغبة غير موجَّهة "مساعدة الله" على أن يغيِّر من ذلك.

منذ بضعة محطات مضت، رأينا الطموح الخاطئ ينقلب رأسًا على عقب حين تصدَّى الله لبناة برج بابل، الذين حاولوا أن يصنعوا لأنفسهم اسمًا. لكنه في المقابل، وعد بتعظيم اسم إبراهيم. وفي المحطة التالية مِن جولتنا عبر قصة الكتاب المقدس، سنرى الله يحول الطموح البار لداود بشأن بناء بيت لله إلى وعد مذهل ببناء بيت لداود، وصنعِ اسمًا له!

لم يستغرق صموئيل الكثير حتى يدرك أن شاول، الملك الأول لإسرائيل، لم يكن هو الملك الموعود الذي انتظره بيت إبراهيم لزمان طويل. لكن لم يكن لهذا أن يفاجئ أي إنسان يعير انتباهه جيدًا في هذه المرحلة. ففي النهاية، كان شاول من "سبط" بنيامين، ابن يعقوب، وليس

من سبط يهوذا (صار نسل الأبناء الاثني عشر ليعقوب الذي امتد ونما هو "الأسباط" الاثنا عشر التي شكَّلت أمة إسرائيل). كان ينبغي لنسل المرأة الموعود به لا أن يكون من نسل إبراهيم فحسب، بل أيضًا من نسل يهوذا.

بينما كان الحكم القصير الأمد لشاول الملك ينحدر، أرسل الله صموئيل إلى بيت يسَّى من بيت يهوذا. وهناك وجد الشاب داود، الابن الأصغر ليسَّى، ومسحه سراً ليكون هو الملك القادم، ثم تركه لفترة انتظار. وفيما مرَّت الأشهر، ابتدأ داود يشابه الملك الذي انتظره الكثيرون في إسرائيل. فقد ذاع خبر هزيمته لجليات العملاق، وكثيرين آخرين أيضًا من أعداء الله. وبينما كان يحارب عن شعب الله، محققًا انتصاراً بعد الآخر، أمكَنَ لشاول أن يدرك أين كانت الريح تهب، وفي النهاية طلب قتل داود. لكن حفظ الله داود، وظل يحقق له الانتصارات. وحين مات شاول وأبناؤه جميعًا في أرض المعركة، عدا واحد، صار داود ملكًا أخيراً.

في أثناء السنوات السبعة الأولى تقريبًا من حكم داود، وطَّد هذا الملك سلطته، ودخل أورشليم، متخذًا منها عاصمته. وإذ ثبَّت عرشه في المدينة، أراد استبدال الخيمة، التي كانت تستخدَم في العبادة منذ أيام الخروج من أرض مصر، بهيكلٍ دائم، لإكرام الله، وتدبير موضع دائم للشعب كي يعبدوه فيه. فقد كان لديه تابوت العهد، حيث وعد الله بالالتقاء بشعبه (خروج ٢٥: ٢٢)، وكان مستعدًا لإدخاله إلى الهيكل الجديد. فكما

نرى في المزامير، سار داود في حميمية مع الله، وأدرك جيدًا معنى التمتع ببركة حضور الله!

من كل هذا، نستطيع أن نرى أن رغبة داود كانت رغبة نبيلة. ففي النهاية، ماذا كانت بركة العهد الكبرى التي فقدها آدم وحواء في الجنة، لكن وعد الله باستعادتها؟ كانت أن يسكن الله نفسه مع شعبه، وأن يلازمهم حضوره إلى الأبد. وأيّة وسيلة يمكن بها تسهيل هذا أفضل من بناء بيت دائم يسكن فيه الله، حتى يتمكن شعبه من عبادته بشكل سليم، وتقديم ذبائح له؟ بل وقد سعى داود أيضًا للحصول على موافقة ناثان النبي، فأيده ناثان وأعطاه إشارة الانطلاق، حتى أنه تمادى وقال: «لِأَنَّ ٱلرَّبَّ مَعَكَ» (٢ صموئيل ٧: ٣).

لكن كانت خطة الله مختلفة. فربما بينما كان داود يفكِّر في بناء بيت حيث يمكن لشعب إسرائيل أن يعبدوا، كان الله يفكر في بيتٍ فيه تتمكن جميع الأمم من العبادة. وربما بينما كان داود يفكِّر في مكانٍ يسكن فيه حضور الله في أورشليم، كان الله يفكر في بيت أكبر كثيراً يسكن فيه، وفيه يملك نسل داود إلى الأبد. بكلمات أخرى، جاء الله إلى داود بوعد أعظم مما كان يتخيل على الإطلاق.

أمر الله ناثان النبي بأن يذهب ليُعلِم الملك بحقيقة الأمر. لم يكن داود هو من سيبني الهيكل. فخلال القرون الأربعة منذ أن أعطى الله الناموس، لم يطالب الشعب ببناء بيت له. لم يكن داود هو مَن سيبني

البيت، بل سيُحتفَظ بهذا المشروع لابنه. لكن بينما لم يكن داود هو من سيبني بيتًا لله، كان الله عتيدًا أن يبني بيتًا لداود (٢ صموئيل ٧: ١١).

وهكذا، نصل أخيراً إلى محطتنا التالية في جولتنا عبر الكتاب المقدس، حيث أعلَن الله كيف سيكون البيت الذي سيبنيه لداود. لن يكون هذا بيتًا من خشب الأرز، كالبيت الذي أراد داود بناءه. بل في المقابل، سيكون هذا البيت سلالة ملكية تدوم إلى الأبد!

> مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَٱضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِٱسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ. (٢ صموئيل ٧: ١٢-١٣)

أخبر الله داود بأن نسله الملكي سيستمر بعد موته. سيثبِّت الله مملكة ابن داود إلى الأبد. لكن يحوي العهد المزيد أيضًا: لن يكتفي الله بتثبيت مملكة ابن داود، لكن أيضًا سيحقق هذا الابن طموح داود ببناء بيت لله. وحين يبني المَلك، ابن داود، هذا الهيكل، سيصبح هو جالب بركة حضور الله إلى شعبه بشكل دائم.

حين نعود إلى الوراء لنجمع بعض أجزاء القصة التي تحدثنا عنها بالفعل، لا يمكن أن تفوتنا هذه الفكرة. فكما رأينا سابقًا، كان حضور الله جزءًا كبيراً من البركة التي وُعد بها إبراهيم. هل تستطيع أن ترى الرابط؟

سيأتي النسل الملكي بالبركة التي وُعد بها إبراهيم. أي أن نسل داود سيَجلب حضور الله إلى الأمم!

ينبغي ألا يفاجئنا إذن أنه حين أنهى سليمان، ابن داود، أخيراً بناء الهيكل، أشار إليه بأنه موضع فيه «يَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ ٱلْأَرْضِ أَنَّ ٱلرَّبَّ هُوَ ٱللهُ وَلَيْسَ آخَرُ» (١ ملوك ٨: ٦٠). كان الهيكل هو المكان الذي منه ستمتد بركة حضور الله إلى جميع قبائل الأرض، والذي فيه سيتمم النسل الملكي ليهوذا تكليفه ومهمته باستقبال جزية الشعوب وخضوعهم.

إذن، هل كان سليمان هو نسل المرأة، ونسل إبراهيم، والنسل المَلَكي ليهوذا؟ ربما تظن هذا من قراءتك للجزء الأخير من الوعد: «وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ». ربما ظن داود، أو أيٌّ من القارئين المدققين لشريعة موسى، أن سليمان قد يكون هو من سيُبطل لعنة الخطية والموت، ويَملُك بالحقيقة إلى الأبد. ففي واقع الأمر، قال الله لداود: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ٱبْنًا» (٢ صموئيل ٧: ١٤). هذه لغة حميميّة — تلك التي يستخدمها الله عن قليلين آخرين.

لكن إن تابعنا القراءة في هذا العدد، سنرى أن هذا العهد الذي كان الله يقطعه مع داود احتوى على بعض الشروط. قال الله لداود إنه إن لم يسلُك هذا الابن الملكي بأمانة، «أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ ٱلنَّاسِ» (٢ صموئيل ٧: ١٤). للأسف، هذا هو ما حدث لسليمان تمامًا. ففيما ازداد في الثروة والسلطة، حاد قلبه عن الله. وبالتالي، جاء عليه التأديب

الموعود. لم يكن داود ولا سليمان هما نسل يهوذا الموعود. بل في حقيقة الأمر، بسبب عصيان سليمان، لم يملك رحبعام ابنه سوى على سبطي يهوذا وبنيامين. وانفصلت الأسباط الأخرى مكوِّنة مملكة في الشمال.

ومنذ ذلك الحين، ساءت الأحوال. فقد مَنعَت هذه المشكلة نفسها ملكًا بعد الآخر من إتمام ما كان ينبغي على الملك أن يعمله بشكل نهائي وكامل. وبسبب عبادة الأوثان، والحماقة، والكبرياء، لم يتمكن أيٌّ من ملوك يهوذا أو إسرائيل في الشمال من حفظ بنود وشروط عهد الله مع داود. كانوا جميعًا خونة، وكما وعد الله داود تمامًا، واجهوا جميعًا تأديبات البشر.

وفيما مرت السنوات، وازداد الملوك سوءًا، أبعدوا شعب الله أكثر فأكثر عن بركة الله. كان الشعب في حاجة إلى ملكٍ أمينٍ يمكنه أن يحفظ ناموس الله بشكلٍ كاملٍ. وبالتالي، بدا أنه إلى أن يَظهَر حلٌّ نهائي وتام لمشكلة الخطايا، لم يكن ممكنًا أن تتحقق الوعود التي قُطعت لداود، وبالمثل، لآدم، وإبراهيم، ويهوذا. كان شعب الله لا يزال في حاجة إلى بديل يحل مشكلة الخطية نهائيًا وبلا رجعة.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

المملكة

نسل (ذرية) داود

العهد

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، كانت بركات العهد ستأتي إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل.

ٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.

إشعياء ٥٣: ٦

في هذه المرحلة من قصتنا، قد يبدو أننا عالقون بين المطرقة والسندان. فمنذ بضعة فصول، رأينا الحاجة إلى خراف الفصح وإلى الذبائح التي يطالب بها الناموس الموسوي. وفي نظرتنا العامة السريعة على العهد الذي قُطع مع داود، وعلى إخفاق أيَّ ملك في تقديم طاعة كاملة، رأينا أن تلك الذبائح كانت ضرورية في ذلك الحين بقدر ما كانت دائمًا. لكن بدا أيضًا أن تلك الذبائح لم تكن تحلُّ المشكلة. فقد ظلت سحابة الخطية تلوح في الأفق وتخيِّم فوق إسرائيل، وكذلك الأمم المحيطة. فقد ظل الفلسطينيون، والموآبيون، والأشوريون، والبابليون، على سبيل المثال لا الحصر، يقتادون يهوذا، وإسرائيل، وملوكهم بعيدًا

عن الأمانة من نحو الله. وظل ملوك إسرائيل ويهوذا يقتادون الشعب إلى مستويات أعمق وأعمق من عبادة الأوثان. ظلَّ الشعب بحاجة إلى الذبائح، لكنها لم تكن تحل المشكلة! لم يكن ممكنًا أن يستمر الحال على هذا المنوال.

لم يكتفِ ملوك يهوذا في الجنوب وإسرائيل في الشمال بالاستمرار في الخطية، وإدارة ظهورهم عن الله، وتضليل الشعب، لكنهم أيضًا توقفوا عن اتِّباع التعليمات التي أعطاهم الله إياها في شريعة موسى لمعالجة خطاياهم. فبعد انفصال الأسباط العشرة في الشمال عن يهوذا، سرعان ما بنى الملك يربعام مذبحين لعبادة الأوثان: الأول في دان في الجزء الشمالي من الأمة، والثاني في بيت إيل في الجنوب. فقد كان يخشى أنه إن استمر رعاياه في تقديم الذبائح وزيارة هيكل أورشليم كما أمر الله، سرعان ما سيتأرجح ولاؤهم إيابًا نحو ملوك يهوذا. باختصار، فضَّل الملك السلطة السياسية على الإخلاص لله. لكن لم يحدث هذا ثانية قط، أليس كذلك؟

ربما تظن أن ملوك يهوذا بالتأكيد قد أبلوا بلاءً أفضل. ففي النهاية، كان الهيكل على مقربة منهم، وكأنه في فنائهم الخلفي؛ ويحيط بهم الكهنة طوال الوقت. لكن الواقع المؤسف هو أنَّ ملوك يهوذا نادراً ما أبلوا بلاءً أفضل من جهة حفظ الناموس. وفي حين نجهل جميع تفاصيل ما فعلوه وما لم يفعلوه، لكن، على أقل تقدير، أخفقت مملكة يهوذا في حفظ شريعة السبت التي أعطاها الله لأجل الأرض (لاويين ٢٥: ٨-٢٢)، على الأقل

سبعين مرة (٢ أخبار الأيام ٣٦: ٢١). وبما أنهم كانوا مطالَبين بأن يريحوا الأرض كلَّ سبع سنوات، فإننا إذن أمام أربعمائة وتسعين عامًا من العصيان!

لم يتوقف الأمر عند إخفاق هؤلاء في حفظ وصايا وتعليمات السبت؛ بل لم يكن لديهم، لمدة قرنين من الزمان على الأقل، الناموس كاملًا، ناهيك عن حفظه! فحين تولَّى يوشيا الحُكم، بعد موت داود بأكثر من ثلاثمائة عام، أمر بإجراء سلسلة من التجديدات للهيكل. وبينما كان الكهنة يعملون في هذا المشروع، وجدوا "سفر الشريعة" المفقود، وقرأوه بصوت عالٍ على مسامع الشعب. بقدر ما يمكن أن نعرف، كانت المرة الأخيرة التي قرئت فيها الشريعة علنًا هي في أثناء حكم يهوشافاط — أي قبل هذا بحوالي مائتي وخمسين عامًا. تَخيَّل معي أنَّ بيان الاستقلال الأمريكي قد قُرئ في الرابع من شهر يوليه من عام ١٧٧٦ م.، ثم فُقد إلى اليوم (بالمناسبة، أيها المهووسون بالتاريخ، أعلم أنه لم يُقرأ فعليًا بصوت عالٍ في ذلك اليوم). هذه هي الفترة الزمنية نفسها تقريبًا التي مرت في إسرائيل بين القراءتين للشريعة علنًا.

لا يبدو وكأنَّ شعب الله كانوا يحاولون حفظ الناموس، ولكن كانوا يخفقون. بل هم لم يكونوا يحاولون من الأساس، لأنه لم يكن في حوزتهم من الأساس! وإذ ظلوا في حاجة إلى ذبائح وبدلاء عن خطاياهم، لم يؤدِّ إهمال نظام الذبائح سوى إلى زيادة الحال سوءًا.

وإذ لم يحفظوا الناموس، وقعت عليهم دينونة الله، كما تقع دائمًا حين يُكسَر عهد. فقد غزت أشور إسرائيل في الشمال في حوالي عام ٧٢٢ ق.م.، ثم بعد مائتي وخمسين عامًا، غزا البابليون يهوذا، وأخذوا الشعب إلى السبي، حيث ظلوا هناك حوالي سبعين عامًا.

لكن لا يبدو أنه حين حاول بنو إسرائيل حفظ الناموس، استطاعوا أخيراً التخلُّص من الخطية. فبعدما عاد الشعب من سبيهم في بابل، التزموا بشكل كبير بمحاولة طاعة الناموس — على الأقل بحسب تفسيرهم له. لكن ظل الناموس وذبائحه مع هذا غير كافية لرفع الخطية إلى الأبد وبلا رجعة. كان الشعب لا يزال في حاجة إلى حلٍّ على المدى الطويل.

والآن، تقتادنا كل هذه الخلفية التاريخية أخيراً إلى محطتنا التالية في جولتنا عبر الكتاب المقدس. فقبل ذهاب يهوذا إلى السبي بحوالي مئة وخمسين عامًا، أعطى الله إشعياء النبي رؤيا أشارت مستقبلًا إلى الحل القاطع والنهائي لمشكلة الخطية. وحتى في نظرتنا العامة المختصَرة هذه، لا يستغرق الأمر الكثير حتى ندرك أن كلًا من إسرائيل والأمم المحيطة بهم قد أخطأوا. فإنهم قد ضلوا كغنم ضالة — كما نحن أيضًا. وبالتالي، كي يهزم الله الخطية بشكل نهائي، لم يكن يخطط أن يرسل ذبيحة حيوانية. لكن في المقابل، كان عتيدًا أن يُرسِل عبدًا متألمًا، وأن يضع على هذا العبد إثم جميع شعبه:

كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.

مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ،
وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ
إِثْمَ جَمِيعِنَا. (إشعياء ٥٣: ٦)

يعلَم الكثير من المؤمنين أن الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء يسمَّى عادة "أصحاح العبد المتألم"؛ لكن ما لا يعلمه الكثيرون هو أن هذا العبد يظهر بصورة متكررة في هذا القسم من سفر إشعياء. يساعدنا الأصحاح التاسع والأربعون بشكل خاص على أن نفهم هوية هذا العبد. ففي بداية الأصحاح، يقول الله: «أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ» (عدد ٣). وبالتالي، يتضح لنا تمامًا أن الأمة ككلٍّ هي العبد، أليس كذلك؟

لكن، لنواصل القراءة. في العدد الخامس من الأصحاح، قال الله إن دور هذا العبد هو «لِإِرْجَاعِ يَعْقُوبَ إِلَيْهِ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ إِسْرَائِيلُ». وبالتالي، يبدو لنا هنا أن العبد شخصٌ آخر سيُرجِع الأمة ككل إلى الله. أيهما صحيح إذن؟

حتى أكثر نقاد الكتاب المقدس خبرة سيكون عليهم أن يقروا بعدم إمكانية التخلص من هذه المشكلة بتفسير أنها مجرد تناقض. يتطلب الأمر الكثير من الغطرسة لقول إن إشعياء أخطأ في هذا. أعتقد إذن أن هناك حلًّا أفضل وأبسط من هذا بكثير. فمع أننا نفكر بطريقة فردية للغاية في هذا العالم الحديث، ولا سيما في الغرب، لكن لا زلتُ أظن أننا نستطيع أن نفهم ما يجري هنا. علينا أن ننحي جانبًا فرديتنا، وندرك أن

كتّاب الكتاب المقدس كانت لديهم نظرة أوسع نطاقًا بكثير عن دور هذه الجماعة.

إن أخبرتُك أن جلالة الملك جورج الثالث[١٣] لم يكن سعيدًا بتصرفات بعض المستعمرين الأمريكيين الذين أغرقوا شحنة من الشاي في ميناء بوسطن في عام ١٧٧٣ م.، فإنني بهذا أقول إن جورج نفسه كان مستاءً. لكن ربما أقول أيضًا إن الإمبراطورية البريطانية بأكملها لم تكن سعيدة بتصرف المستعمرين. هذا لأن الملك جورج كان رمزاً للأمة التي كان يَحكُمها. وعلى الرغم من أن سلطته ربما كانت أضعف من سلطة أسلافه بسبب الإصلاحات الدستورية، إلا أن تصرفاته، وقراراته، وإرادته كانت هي نفسها التي للأمة. كان الفرد الذي يسمَّى جورج **يمثِّل** الإمبراطورية البريطانية.

هكذا أيضًا عبد سفر إشعياء. ففي العدد الثالث من الأصحاح التاسع والأربعين، استطاع الله أن يقول إن إسرائيل هو العبد لأنه يتبين أن هذا العبد، كما يرد في العدد الخامس، هو الممثل الوحيد للأمة. يستطيع هذا العبد أن يقول "أنا إسرائيل"، تمامًا كما أن الملك لويس الرابع عشر، ملك فرنسا، يستطيع أن يقول: "أنا الدولة".

إن عُدنا الآن إلى الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء، ودرسنا العدد السادس، أعتقد أننا سنكتسب فهمًا أفضل للكيفية التي

[١٣] المترجم: ملك بريطانيا العظمى في عصر قديم.

تلائم بها هذه النبوة قصتنا. ففيما نتجول عبر هذا الأصحاح، نرى صورة صارخة عن المهمة الرهيبة التي كُلِّف بها الله هذا العبد. فقد كان عليه أن يصير «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ ٱلنَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ» (عدد ٣). كانت دعوته تقتضي أن يصبح «مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ ٱللهِ وَمَذْلُولًا» (عدد ٤). لكن في العدد الخامس، نكتشف إلى أين كان هذا يتجه: "تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا".

إن رجعنا مسافة كبيرة إلى الوراء، حتى إلى عهد الله مع إبراهيم، ثم نظرنا إلى العهدين الرئيسيين الآخرين اللذين بُنيا فوقه، نُدرك أن شيئًا ما لطالما كان مطلوبًا من الجانب البشري. كان على كلٍّ من إبراهيم، وإسرائيل، وداود أن ينفذوا بعض الشروط. لكنهم أخفقوا ونسلهم جميعًا في تنفيذ الشروط بشكل كامل، وبالتالي كان عليهم جميعًا أن يواجهوا دينونة الله. وقد ساعدتهم ذبائح الناموس في رؤية ما كان ضروريًا للإفلات من هذه الدينونة — أي وجود بديل. لكن لم تكن الذبائح نفسها بكافية على الإطلاق.

رجوعًا إلى الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء، نجد أن جميع عقوبات العهد تبلغ ذروتها في العدد السادس: «وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا». وبالتالي، يتبيَّن الآن أن آلام العبد بصفته ممثلًا لشعب الله هي آلام **بدليّة**. فقد كان سيأخذ على عاتقه العقوبة التي استحقوها. انظر أيضًا إلى العدد العاشر، الذي يخبرنا بأنه سيقدَّم «ذَبِيحَةَ إِثْمٍ». فبصفته

ممثل الأمة، سيتدخل ويفعل كلَّ ما لم تستطع جميع الذبائح يومًا أن تفعله. فهو سيجلب السلام والشفاء، ويمتص خطية الأمة وإثمها، ويحمل خطايا كثيرين (عدد ١٢).

إن كان العبد المتألم إذن هو رجلٌ واحدٌ مثَّل الأمة بأكملها، وإن كان دوره يقتضي أن يُنهي مشكلة الخطية والإثم بالكامل ونهائيًا، فإنه إذن يشبه كثيراً نسل المرأة، المذكور في الأصحاح الثالث من سفر التكوين. ففي النهاية، وفي المجمل، كان دور هذا النسل هو أن يُبطِل نتائج السقوط. وقد جلب السقوط مشكلة الخطية والإثم. وبالتالي، يبدو أن نبوة إشعياء وثيقة الصلة بوعود النسل. ربما فقط كان نسل المرأة، ونسل إبراهيم، ونسل يهوذا جميعهم شخصًا واحدًا، وهو العبد المتألم. إن كان كذلك، فإن الناموس الموسوي وذبائحه كان تذكرة بأنه حين يأتي هذا النسل أخيراً، سيأخذ على عاتقه عقوبة العهد، ويرفع الخطية نهائيًا وإلى الأبد.

لكن تَكمُن مشكلة في هذه الصورة. فلأجل إبطال نتائج اللعنة، لم يكن يلزم هزيمة الخطية وحدها، بل كان الموت لا يزال هو العدو الأكبر الكامن في الخلفية. ويبدو أنه كي يتمِّم النسل أو العبد مهمته، كان ينبغي أن يُباد الموت أيضًا. تقودنا هذه المشكلة إلى محطتنا التالية في الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الفداء

البدلية

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم.

أَتَحْيَا هَذِهِ ٱلْعِظَامُ؟

حزقيال ٣٧: ٣-٥

يحب البعض القيام برحلاتٍ عبر الدول لمشاهدة المناظر الطبيعية، والتوقُّف في الطريق عند المفاتن السياحية. لستُ من هؤلاء، بل حين أقوم برحلة على الطريق، يكون هدفي الرئيسي هو الوصول من النقطة أ إلى النقطة ب بأسرع ما يمكن. ارتدتُ الجامعة في شمال شرق ولاية ويسكونسن، بعد أن نشأتُ في موضع يبعد عنها حوالي خمسمائة ميل، في جنوب شرق ولاية ميتشيجان. وكلما قمنا أنا وأصدقائي بهذه الرحلة، كنا نخطط للذهاب من دانبار في ولاية ويسكونسن، إلى وودهافن في ولاية ميتشيجان، بأسرع ما يمكن. وكنا نحاول دائمًا الوصول في وقت

أقل من المرة السابقة. ومع أننا تحدثنا كثيراً عن التوقف عند المفاتن السياحية التي كنا نمر بها، لكن لم يكن إغراء سي شيل سيتي، أو أكبر صليب في العالم، كافيًا قط لإقناعنا بإمضاء الوقت فعليًا فيها.

لكن أحيانًا، كان توقفٌ بسيطٌ بهدف أخذ قسط من الراحة يُسرع فعليًا من وتيرة الرحلة، ويجعلها أكثر فاعلية. فإن لم تتوقف لملء السيارة بالوقود، فإنك بهذا تبطئ من رحلتك بسيرك على قدميك لمسافة ميل على الأرجح من سيارتك إلى أقرب محطة وقود. وبالتالي، أحيانًا يكون انعطافٌ ما ضروريًا.

وهكذا، في جولتنا هذه عبر الكتاب المقدس، سننعطف قليلًا. فقد كنا في طريقنا الآن إلى الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال، حتى نفهم الخطوة التالية في عملية هزيمة الخطية والموت. فحتى هذه المرحلة، رأينا عهود الله مع آدم (ومع نوح)، ومع إبراهيم، ومع أمة إسرائيل في الناموس، ومع داود. لكن يوجد عهد آخر في العهد القديم نحتاج أن نتناوله حتى يتسنَّى لنا أن نفهم نبوة حزقيال.

يسمَّى إرميا أحيانًا "النبي الباكي"، لأنه في أثناء فترة خدمته، اجتاحت بابل مملكة يهوذا، وسبت الكثير من سكانها. لكن لم تكن كل رسالة إرميا كئيبة وقاتمة هكذا، بل اخترق شعاع رجاء لافتٌ ظلال هذا السبي حين أعطاه الله نبوة "العهد الجديد".

في تلك الفترة القاتمة، قال الله للشعب: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا» (إرميا ٣١: ٣١).

وَعَد الله بقطع عهد جديد سيُبنَى فوق العهود السابقة — وفي النهاية، سيكون هو وسيلة تتميمها جميعًا. ثم تابع لكشف النقاب عن هذا العهد، قائلًا: «أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا ... كُلُّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ» (عدد ٣٣-٣٤).

باختصار، قال الله إنه كان سيحقق أخيراً بركة إبراهيم، تلك البركة التي فُقدت بالسقوط، من خلال منح شعبه قلوبًا جديدة، والصفح عن جميع خطاياهم. سيسكن الله وسط شعبه، وستختفي نتائج الخطية. رأينا في الفصل السابق أن العبد المتألم سيرفع ويمحو الخطايا. ثم تخبرنا نبوة إرميا بأنه حين يرفع ويمحو الخطايا، سيتأسس عهد جديد به سيسكن الله بشكل نهائي مع شعبه.

لكن تظل أمامنا مشكلة — ماذا عن الموت؟ صحيح أن حضور الله في هذه الحياة هو بركة جيدة، لكن لا يزال الموت يَكمُن في الأنحاء، منتظراً أن يقضي على تلك البركة. وفي حين نرى في إشعياء ٥٣، بل وفي إرميا ٣١، تلميحات إلى حياة جديدة، لكننا في حاجة الآن إلى العودة إلى مسارنا الرئيسي، والتقدم إلى نصنا المفتاحي التالي، حزقيال ٣٧: ٣-٥، كي نجد جوابًا وافيًا عن سؤال كيف سيهزم الله الموت. لكن ضع في اعتبارك الآن هذا العهد الجديد ومواعيده.

في الآن ذاته تقريبًا الذي أعطى فيه الله مواعيد العهد الجديد لإرميا، جاء إلى حزقيال بمجموعة من الرؤى المذهلة. واحدة من أكثر الصور

نبضًا بالحياة في نبوة حزقيال، وربما في الكتاب المقدس بأكمله، هي رؤيا العظام اليابسة الواردة في الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال. تساعدنا هذه النبوات المذهلة على أن ندرك كيف خطط الله لهزيمة الموت، بالإضافة إلى الذبيحة البدلية للعبد المتألم:

فَقَالَ لِي: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ ٱلْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ ٱلرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هَذِهِ ٱلْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا ٱلْعِظَامُ ٱلْيَابِسَةُ، ٱسْمَعِي كَلِمَةَ ٱلرَّبِّ: هَكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ لِهَذِهِ ٱلْعِظَامِ: هَأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ». (حزقيال ٣٧: ٣-٥)

في الوقت الذي فيه أعطى الله هذه الرؤيا لحزقيال، لم يكن الكثيرون في يهوذا متفائلين بشأن المستقبل. فقد كانوا يقولون: «يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ ٱنْقَطَعْنَا» (عدد ١١). ففي أعقاب الدمار الذي جلبته بابل على الأمة، كان من الصعب رؤية الكثير من الأمل. فقد أفلتت عائلات قليلة جدًا من الموت والألم، وفقدت الأمة نفسها استقلالها ورجاءها. وبدت فكرة سحق نسل إبراهيم للحية وجلبه بركة الله إلى الأمم أمراً بعيدًا تمامًا.

اقتاد الله حزقيال إلى وادٍ ملآن عظامًا يابسة، قد لوَّحتها الشمس. ثم طرح على النبي سؤالًا من أعجبَ الأسئلة: «أَتَحْيَا هَذِهِ ٱلْعِظَامُ؟» (عدد ٣). إن حدث ووقفتَ يومًا أمام هذا المشهد المروع لأكوام وأكوام

من العظام اليابسة، لن يتبادر إلى ذهنك على الأرجح أن تتساءل إن كان يمكن لتلك العظام أن تحيا أم لا. بل كل ما ستريد هو أن تدفنها وتنسى أنك رأيتها على الإطلاق. أجاب حزقيال في حذر: "يَا سَيِّدُ ٱلرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ". ففي النهاية، كان حزقيال يتكلّم إلى واهب الحياة. لكنه لم يكن يتصور ما حدث بعد هذا.

أمر الله حزقيال بأن يتكلم إلى هذه العظام اليابسة والمكسوة بالغبار، ويقول: «أَيَّتُهَا ٱلْعِظَامُ ٱلْيَابِسَةُ، ٱسْمَعِي كَلِمَةَ ٱلرَّبِّ: هَكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ لِهَذِهِ ٱلْعِظَامِ: هَأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ» (عدد ٤-٥). لم يكن الروح سيدخل في العظام فحسب، لكنه تابع أيضًا قائلًا، "وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا". كان الله يقول بهذا إنهم سيحيَون حقًا!

وهكذا، وقف حزقيال أمام العظام وفعل ما أمر به الله. وفي الحال، تقاربت العظام، وكساها اللحم والجلد. صار هذا الوادي الذي كان يقبع في حالة ميؤوس منها، والملآن بالعظام اليابسة، فجأة شهادة عن سلطان كلمة الله. أتتذكر ما رأيناه في بداية رحلتنا؟ فإن الله يقول، فيكون. إن كلمة الله تعطي الحياة.

بعد أن تنبأ حزقيال، صارت هذه العظام المائتة واليابسة متكاملة من جديد، لكنها لم تكن بعد على قيد الحياة. وبالتالي، أمر الله حزقيال بأن يأمر "الروح" أو "النَفَس" بأن يأتي ويدخل في الأموات. وحين حدث

هذا، حَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ. لا تدع هذا يفوتك — حين دخل الروح الذي من الله في العظام اليابسة، حيت هذه العظام. لا يمكن للصورة أن تكون أكثر وضوحًا من هذا. فإن روح الله يعطي الحياة — في الخليقة الأولى، وهنا أيضًا، في هذا الخلق من جديد.

وتَحسُّبًا ألا يكون الشعب قد استوعبوا معنى هذه الرؤيا بعد، أخبر الله حزقيال بتفسير ما كانت ترمز إليه: «هَأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي. وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ» (عدد ١٢-١٤). كان معنى الرؤيا هو أن الله لن يتخلى عنهم ويتركهم فريسة للموت، بل، بروحه، سيهزم يومًا ما الموت، ويأتي بهم إلى الأرض التي وعدهم بها. سيكون هذا بمثابة إبطالٍ للعنة. ومرة أخرى، سيسكن الله مع شعبه في الأرض التي أعطاهم إياها!

إن رجعنا خطوة إلى الوراء، سنتمكن من رؤية كيفية توافُق النبوات التي تناولنا في الفصلين السابقين معًا. ابقَ معي، لأن هذا قد يستلزم بعض القراءات كي نوضِّحه ونفهمه.

تذكّر هذا، كان الهدف طوال الوقت واحدًا. قال الله إنه سيسحق رأس الحية عن طريق نسل المرأة الموعود به. لكن كي يفعل هذا، كان لا بد أن يهزم الخطية والموت. ومن خلال الذبيحة البدلية للعبد المتألم،

سيتم تسديد دين خطية شعب الله. فهو سيكون الذبيحة النهائية والتامة. وفي نبوة العهد الجديد، وعد الله بأن يصفح عن جميع شعبه، ويكتب "الشريعة على قلوبهم". ستُهزَم الخطية إذن من خلال ذبيحة العبد. فقد وعَد الله بنصرة مذهلة! وبمجرد هزيمة الخطية، ستموت معها سطوة الموت وقوته. لن يأسر الموت البشر بعد الآن في شباكه.

ثم بعد هذا، سيرسل الله روحه كي يهب حياة لشعبه. ويُعَد الاستنتاج بالمنطق وحده هنا هو أن الوسيلة الأولى والرئيسية التي سيتحقق بها هذا هي أن يهب الله حياة للعبد، أي ممثلَ شعب الله. وهكذا إذن، كان وعد حزقيال ٣٧ أنه بمجرد هزيمة الخطية، سيُباد ويزول سلطان الموت وقوته. وبمجرد القضاء على سلطان الموت، سيكون لروح الله كامل الحرية والسلطان أن يهب حياة — أولًا للعبد، ثم لجميع مَن يقبلون غفران الخطايا الموعود به في العهد الجديد، والذي يتم الحصول عليه بموت العبد. فمن خلال رؤيا حزقيال ٣٧ هذه، كان الله يَعِد بخليقة جديدة!

نرى في كتابات الأنبياء الوسيلة التي بها سيهزم الله الحية نهائيًا عن طريق نسل المرأة — الذي حتمًا هو أيضًا العبد المتألم. فإن حكمة الله التي تتكشف فيما نشق طريقنا عبر خطة الفداء في العهد القديم مذهلة ولافتة للنظر.

لكننا لم ننتهِ بعد من العهد القديم، بل تبقت محطة أخيرة فيه ستوجِّهنا نحو المستقبل، نحو ما هو عتيد أن يكون.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

العهد الجديد
الروح
الخليقة الجديدة

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسِّس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية.

الخليقــة الجديــدة

هَأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً.

إشعياء ٦٥: ١٧

أنا أحب القراءة. وفي حين أحاول قراءة أنواع كثيرة من الكتب، لكن أحد أنواعي المفضلة، ولا سيَّما حين أكون في عطلة أو أحاول الاسترخاء، هي الكتب التاريخية الواقعية الجيِّدة. وأحد أروع الكتب التاريخية التي قرأتُها في السنوات الأخيرة كان كتابًا بعنوان *Unbroken* "**عديم الكسر**" للكاتبة لورا هيلينبراند (Laura Hillenbrand).[١٤] يروي الكتاب قصة لويس زامبيريني (Louis Zamperini)، الذي كان بطلًا للألعاب الأوليمبية في عام ١٩٣٦ م.، وجندي مدفعية في أثناء الحرب العالمية الثانية. تحطَّمت طائرة لويس في المحيط الهادئ، وقضى سبعة وأربعين يومًا يصارع

[14] Laura Hillenbrand, *Unbroken: A World War II Story of Survival, Resilience, and Redemption* (New York: Random House, 2010).

الجوع وأسماك القرش. ثم بعد هذا احتُجز لمدة عامين في معسكر ياباني لأسرى الحرب. إن كنتَ قد قرأت هذا الكتاب، فستعلم أن القصة تكاد تكون لا تُصدَّق بشكل زائد عن الحد. ولكن من غير الممكن أن تكون عملًا من محض الخيال، وإلا ما كان هذا ليمر من تحت رقابة المحررين. بل قد حدثت القصة بالفعل.

لا اريد أن أفشي أحداث بقية كتاب هيلينبراند، لكن أحيانًا حين أقرأ العهد القديم، أتذكر قصة حياة زامبيريني. ففي الوقت الذي فيه تظن أنه لا يمكن أن يحدث تَحوُّل آخر في مسار أحداث القصة، أو حين تظن أن الشخصيات قد خرجت من دائرة الخطر، ينهار كل شيء مرة أخرى!

بعد السقوط، بدا وكأن هزيمة الحية قد صارت وشيكة من خلال إبراهيم، لكن آل أمر عائلة إبراهيم في النهاية إلى العبودية في أرض مصر. وبعد الخروج من أرض مصر، أعطى الله الشعب عهد الناموس، لكنهم كسروه على الفور. وحين وضع الله داود فوق العرش، أخطأ هو وبنوه في حق الله، وأخفقوا في حفظ العهد على نحو كامل. وهكذا استمر الوضع. لكن في خضم كل هذا، كان الله يشير مستقبلًا إلى حلٍّ للخطية والموت، سيدبِّره هو نفسه. وبهذا الحل، كان بإمكان شعب الله أن يتوقوا أخيراً إلى استعادة بركات وفرح الحياة في خليقة الله، كما كانت قبل زحف الخطية إلى المشهد.

وكي نرى هذه الخطة بشأن ما هو مذخّر لشعب الله، سنعود قليلًا من حيث أتينا إلى نبوات إشعياء. في الجزء الأخير من سفر إشعياء، نرى لمحة لما وعد به الله شعبه بمجرد إزالة اللعنة نهائيًا:

لِأَنِّي هَأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً
وَأَرْضًا جَدِيدَةً،
فَلَا تُذْكَرُ ٱلْأُولَى
وَلَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. (إشعياء ٦٥: ١٧)

في محطتنا السابقة، رأينا أن روح الله في العهد الجديد سيُنفخ في شعبه — بدءًا من العبد المتألم — كي يعطيهم حياة جديدة. لكن لن تتوقف هذه الحياة الجديدة عند الجنس البشري. فقد وعد الله بخليقة جديدة تمامًا. وترسم نبوة إشعياء صورة شعرية جميلة عن الحياة في هذه الخليقة الجديدة، ذلك الموضع حيث «ٱلذِّئْبُ وَٱلْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعًا» (عدد ٢٥).

لكن حين تَحدَّث الله عن السماوات الجديدة والأرض الجديدة، لم يكن يعني على الأرجح أنه سيتخلص من الخليقة العتيقة في سلة القمامة. لكنه في المقابل وعد بأن يعيد خلقها، ويجددها، ويصلحها. إن كنت تتذكر، رأينا في بداية رحلتنا التزام الله الشديد من نحو خليقته. ففي تكوين ١: ٣١، أعلن الله أن خليقته هذه حسنة جدًا، ومع أن اللعنة قد غيَّرتها بالتأكيد، لكن لا تزال الخليقة تعكس هذا الإعلان بطرق كثيرة.

وبسبب هذا الالتزام الشديد من جانب الله من نحو خليقته، ندرك أنه لم يكن على استعداد للتخلص منها، لكنه سيعيد خلقها.

إن تابعنا القراءة في الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء، سنرى أن خليقة الله الجديدة ستكون موضع فرح أبدي (عدد ١٨)، دون بكاء أو صراخ (عدد ١٩)، فيه سلام حقيقي وأبدي (عدد ٢٥)، وشركة مبهجة مع الله (عدد ١٩). بمعنى آخر، أخيراً سيختبر ويتمتع شعب الله ببركة العهد، أي السكنى مع الله إلى الأبد، في كل ملئها. يرسم هذا الأصحاح صورة لما سيبدو عليه الحال حين يهزم الله الحية تمامًا عن طريق الذبيحة البدلية للعبد المتألم، وحياته التي يعطيها بالروح القدس. فإن نتائج اللعنة ستُمحى نهائيًا وبالكامل. وقبل أن يحدث هذا بزمان طويل، أشارت نبوات إشعياء إلى التزام الله بإكمال عمل الفداء الذي وعد به منذ البداية في جنة عدن.

لاحظ هنا النصف الثاني من العدد السابع عشر: «فَلَا تُذْكَرُ ٱلْأُولَى وَلَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ». أعتقد أننا لا بد ألا نفترض أن هذا النصف الثاني من العدد، نظير النصف الأول، يوحي ضمنًا بأن الخليقة الجديدة ستقطع كل الروابط بين العالم الذي نحيا فيه الآن والعالم الآتي. بل يعني هذا أن الوجع، والخطية، والموت، تلك الأشياء التي حلت جميعها كنتيجة للعنة، ستُمحى وتبيد.

سيتم القضاء على كل الشر الذي عملته الحية، وأرادت أن تحققه. ولن يظهر وجع المرض والموت، الذي أتى كعاقبة للخطية، في المشهد بعد. فإن مواعيد العهد الجديد التي سيتممها الروح الواهب للحياة ستحرص على هذا.

في هذه الخليقة الجديدة، سيسكن شعب الله مرة أخرى مع الله في الأرض التي يعطيهم إيّاها. لكن لن تكون هذه الخليقة الجديدة مجرد جنة عدن مُصلَحة، بل ستفوق هذا كثيراً. لن تكون مجرد جنة، أو حتى أمة تمتد من مصر وحتى نهر الفرات، بل ستشمل العالم أجمع! في هذه النبوة، يبدو وكأن إشعياء كان يستخدم أورشليم والخليقة الجديدة كمترادفين. فما سينطبق على الخليقة الجديدة سينطبق على أورشليم الجديدة، والعكس صحيح. وبالتالي، هنا في سفر إشعياء، ليست الأرض التي وعد الله أن يعطيها لشعبه مجرد أمة، بل هي فعليًا الأرض بأكملها.

أينبغي لهذا أن يفاجئنا؟ وعد الله بأن تتبارك جميع قبائل الأرض عن طريق إبراهيم. ولاحقًا، رأينا أن نسل يهوذا سيكون مَلِكًا يستقبل الجزية من الأمم، وينال خضوعهم. ثم أوضح الله أن هيكل سليمان سيكون موضع صلاة تأتي إليه الأمم. لم ينوِ الله قط أن يأتي شعبه من عائلة واحدة، أو عرق واحد، أو أمة واحدة. وكما أغرق سقوط آدم وحواء الجنس البشري ككل في الخطية، هكذا أيضًا يُحدِث حلُّ الله للسقوط تأثيرات شاملة عامة. وفي حين ينضم كثيرون للأسف إلى صفوف الحية، وتفوتهم

البركة، لكن كان العهد القديم واضحًا بشأن أنه لم يكن لأمة واحدة — ولا حتى إسرائيل نفسها — حق حصري في وعود الله. فإن الحدود القومية والدولية لن تحدَّ من رحمته. فحتى في العهد القديم، قُدمت المواعيد للجميع. وفي الخليقة الجديدة، ستملأ رحمة الله الأرض حين يسكن وسط شعبه إلى الأبد.

وفيما نقترب من نهاية الجزء الأول من رحلتنا معًا، نحتاج أن نرجع خطوة إلى الوراء، ونلتقط أنفاسنا. فقد كانت الرحلة عبر غابة العهد القديم سريعة، لكننا رأينا فيها إحدى عشرة شجرة هامة ستساعدنا على تتبُّع القصة الرئيسية.

في صفحات العهد القديم، أي في الأسفار التسعة والثلاثين الأولى من الكتاب المقدس، نجد قصة خلق الله لكل شيء، بما في ذلك الجنس البشري كتاجٍ لعمله الخالق. لكن اقتلعت مأساة السقوط آدم وحواء، مع كل نسلهما، من محضر الله، وجلبت الموت إلى العالم.

لكن وعد الله بأن يسحق رأس الحية، وبهذا يفتدي شعبه وخليقته من نتائج السقوط. وفي عهود الله مع إبراهيم، وإسرائيل، وداود، نرى أنه كان ملتزمًا بردِّ بركة حضوره وسط جميع شعوب الأرض. ومع أن الخطية والموت ظلا يقحمان أنفسهما على المشهد، إلا أن نبوات إشعياء، وإرميا، وحزقيال، وبقية الأنبياء أعلنت أن الله سيهزم نهائيًا وبالكامل الخطية والموت، عن طريق عبد متألم سيمثل شعبه. حينئذ، وحينئذ فقط، سيجدد

الله الخليقة بأكملها، ويصلحها، ويسكن وسط شعبه إلى الأبد، ويجلب فرحًا وسلامًا أبديًّا.

عند هذه المرحلة من رحلتنا، لا زلنا ننتظر ونتوق. لم يكن بإمكان مَن سمعوا هذه النبوات، وصدَّقوها، سوى الانتظار ليروا كيف ومتى ستتحقق. فقد علموا أنَّ الله سيتممها، لكنهم لم يعلموا مَن سيكون العبد، ومتى سيهزم الحية، ويخرج من المعركة ظافراً.

إلا أن الخبر السار هو أننا لسنا مضطرين أن ننتظر حتى نسمع بقية القصة. فحين ننتقل إلى العهد الجديد، سنتناول خمس نقاط تحول رئيسية ستساعدنا على أن نرى كيف تمت بالفعل مواعيد العهد القديم عن طريق نسل الموعد، العبد المتألم، الرب القائم من الأموات، يسوع المسيح.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الخليقة الجديدة

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

الجزء الثاني

قد أتَتَ الساعة

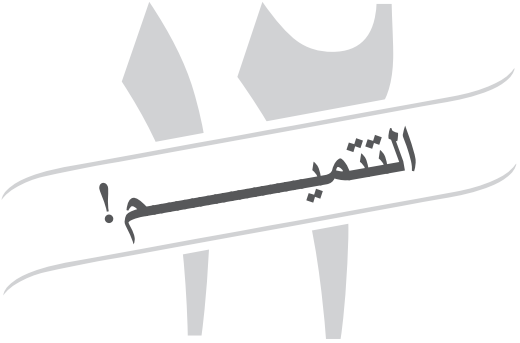

قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ.

مرقس ١: ١٤-١٥

لديَّ ثلاثة أبناء صغار. وفيما أكتب هذا، يبلغ لوك، ابني الأكبر، التاسعة من عمره، وسايمون الخامسة، ويبلغ ابني الأصغر، إليوت، الثالثة. صدِّق هذا أو لا تصدقه، ليس الصبر من أفضل شيمهم. ففي غالبية أيام الآحاد، بعد وقت الكنيسة، ينتظرون فيما حولنا بينما نساعد في جمع الكراسي، أو نحاول إجراء حديث هادف مع شخص ما بشأن ما يعمله الله في حياته. واحد أو أكثر من أبنائنا يكون إما جائعًا، أو متعبًا، أو عطشًا، أو يشعر بالحر، أو بالبرد. أستطيع أن أؤكد لك أنهم لم يكتسبوا نفاذ الصبر مني — فقط لا تسأل زوجتي عن هذا. الحقيقية هي أنني أكثر الناس صبراً. وبالنسبة للغالبية، لا يأتي الانتظار بالفطرة.

لكن الانتظار هو بالتحديد ما طلبه الله من شعبه لمدة حوالي أربعة قرون.

حين أنهى آخر أنبياء العهد القديم — حجَّي، وزكريا، وملاخي — خدماتهم، أمكَن لشعب الله أن يتطلعوا إلى الوراء عبر العصور، ليروا كيف أعلن الله خطته بأن يبطل نسل الموعد نتائج اللعنة ببطء. وبناءً على وعود العهد التي تكشَّفت تدريجيًّا، كان هؤلاء ينتظرون داود الملك جديد، أي الممسوح من الله. وفي اللغة العبرية، كان هذا الممسوح يسمَّى "**المشيخ**" (*mashiach*)، الذي يُترجَم بنسخ الحروف إلى كلمة "مَسيًّا" (Messiah)، وإلى اللغة اليونانية بكلمة "**كريستوس**" أو "المسيح" (Christ). كان هذا "الرجاء المسياني" إذن توقعًا سليمًا وصحيحًا.

لكن في ظلال هذه النبوات، كان هناك أيضًا توقع شديد بأنه حين يهزم الله الخطية والموت، سيبيد أعداء إسرائيل السياسيين الجغرافيين. توقَّع الشعب الحرية من سبيهم في بابل؛ لكن بعد عودتهم إلى أرض الوطن، تسلطت مجموعة من الجيوش الأجنبية على بني إسرائيل، أو اليهود، كما صاروا يُعرَفون. أولًا، غزا الاسكندر الأكبر الأمة، وتلته مجموعة من الحكام اليونانيين والمصريين الذين منعوا الأمة من نوال استقلالها من جديد. جاءت فترة قصيرة من الحرية في عهد المكابيين، في القرن الثاني قبل الميلاد، لكن بعد هذا سيطر الرومان على المنطقة. وبدا النصر العظيم لله وللمسيا بعيد المنال للغاية.

لكن بعد هذا، ظهر نبي آخر في المشهد. لم يكن هذا النبي من النوع المنمَّق تمامًا: «وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ ٱلْإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا» (مرقس ١: ٦). لكن لم تكن ثيابه الغريبة وطعامه الغريب هي أكثر الأشياء المذهلة بشأنه، بل رسالته: فقد دعا اليهود إلى التوبة، وأخبرهم بأنه كان يُعِد الطريق لنبي أعظم — سيعمِّد بالروح القدس (عدد ٨).

لنعُد الآن بأذهاننا إلى ما رأيناه في العهد القديم: فقد تنبأ الأنبياء بأنه حين يأتي الروح القدس، سيجلب معه حياة وقيامة العهد الجديد. وقبل ذلك، كان ينبغي أن يحمل العبد المتألم خطايا شعب الله كممثِّل لهم. كان هذا هو مَن أشارت إليه جميع الوعود. فقد أشارت الوعود التي قُطعت لداود، والناموس الموسوي، والوعد ليهوذا، والعهد مع إبراهيم، والوعد بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية، جميعها إليه! لكن لسنا مضطرين إلى بذل كل جهد التحري والتحقيق هذا، فقط بإمكاننا أن نتابع القراءة في الأصحاح الأول من إنجيل مرقس حتى نرى هذا.

في العدد التاسع من هذا الأصحاح، يخبرنا مرقس عن ظهور يسوع الناصري في المشهد. إن كنتَ قرأتَ الأناجيل، فستعلم أنه لم يكن رجلًا عاديًا: فقد وُلد من مريم وهي لا تزال عذراء؛ ومنذ أيامه الأولى، عَلِمَ أن الله أبوه بطريقة خاصة جدًا. وفي الواقع، نَعلَم من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا أن هذا الرجل لم يكن سوى الله المتجسد. لا بد أن هذا

منطقيٌّ. مَن غيره كان يستطيع أن يحفظ كلا طرفي العهود، ويسدد الدين غير المحدود الذي جلبته الخطية؟ كيف كان بإمكان الله أن يتمم الوعود بصورة نهائية سوى من خلال أن يصير إنسانًا؟

وهكذا، جاء هذا الرجل، بعد أن كبر، إلى نهر الأردن كي يعتمد. ثم نزل روح الله، متخذًا صورة حمامة، واستقر عليه، وتكلم الآب نفسه من السماء شاهدًا بأن يسوع هو بالحقيقة ابنه الحبيب. كان الأقانيم الثلاثة للإله الثالوث، الآب، والابن، والروح القدس، حاضرين جميعهم، مصدِّقين على ما كان يسوع على وشك أن يفعل.

بعد معمودية يسوع مباشرة، خرج — مثله مثل أمة إسرائيل بعد الخروج من أرض مصر — إلى البرية. فبما أن المسيا كان عتيدًا أن يصير ممثلًا عن الشعب، ينبغي ألا يدهشنا أن نراه يواجه التجارب التي واجهوها هم أنفسهم. لكن على خلاف شعب إسرائيل في القديم، لم يستسلم يسوع للتجارب في البرية، بل خرج منها ظافراً.

بعد تجربة يسوع، أُلقي القبض على يوحنا "المعمدان"، ونُفِّذ فيه حكم الموت. لكن، ظل الانتظار والتوقع قائمًا. كان أتباع يوحنا ينتظرون أن يسمعوا شيئًا من يسوع. ولمَن لديهم عيون ليبصروا، كان كل شيء يشير في اتجاه واحد. لكن هل كان من شأن نبوات يوحنا وأعمال يسوع أن تؤدي إلى المزيد من خيبة الأمل والانتظار؟

وأخيراً، بعد مضي قرون من قطع الوعود لآخر الأنبياء، وبعد مرور ألف سنة أو أكثر على الوعود التي قُطعت لداود، ويهوذا، وإبراهيم، وآدم، جاء اليوم. وفي محطتنا الأولى في العهد الجديد، نرى يسوع وقد جاء يكرز بالإنجيل، أو بالبشارة، الآتية من الله:

وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى ٱلْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ ٱللهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ وَٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِٱلْإِنْجِيلِ». (مرقس ١: ١٤–١٥)

تَضمَّن إعلان يسوع لهذه البشارة ثلاثة مكونات أساسية. أولًا، قال يسوع: "قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ". هل يمكنك أن تتخيل مشاعر مَن كانوا ينتظرون رؤية تتميم كلَّ ما قد وعد به الله؟ تخيل أنك واحدٌ منهم؛ وبقدر ما يمكنك أن تتذكر الماضي، أخبرك جدك بشأن وعود الله التي لطالما انتظرها، والتي سمع بها من جده، وسمعها جده من جده، وهكذا، لمئات السنوات. لكن هوذا يسوع، يقف في البرية في الجليل، في الجزء الشمالي من أرض الموعد، معلنًا أن الساعة قد أتت أخيراً!

إن كنتَ من المعجبين بالكاتب جي. آر. آر. تولكين (J. R. R. Tolkien)، فربما تتذكر جيدًا الانتظار والتوق حتى ظهور سلسلة أفلام "سيد الخواتم" *(Lord of the Rings)*، أو مؤخراً، أفلام "الهوبيت" *(The Hobbit)*. وبعد عام أو أكثر من الانتظار، وصلتَ أخيراً مبكراً إلى صالة السينما في فترة عرض منتصف الليل، وابتعتَ الفيشار، وربما النظارة

ثلاثية الأبعاد، وجلستَ في مقعدك. وحين انطفأت الأنوار، وبدأ الفيلم، انتابك شعور بالحماس الممتزج بالارتياح. فقد جاء اليوم أخيراً.

هذا الشعور ليس سوى نقطة في محيط الحماس والارتياح الذي شعر به مَن رأوا أخيراً ساعة تتميم وعود الله. كانت عبارة «قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ» تعني أن آمال آدم وحواء، وإبراهيم والآباء، وداود وابنه، وجميع الأنبياء، وجميع مؤمني العهد القديم الأمناء، كانت تتحقق أخيراً! إن كنت تتتبع قصة الفداء المتكشفة تدريجيًا، فربما يعتمل بداخلك شعور مماثل فيما تقرأ كلمات يسوع هذه.

ثانيًا، قال يسوع: «ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱللهِ». فإن حُكم الله كان أخيراً يقام ويتأسَّس، لأن الملك الموعود به، الذي سيحفظ ناموس الله على نحو كامل، وسيملك بالكمال على الشعب، قد جاء أخيراً في وسطهم.

فإن يسوع، بصفته الملك الممسوح، أي المسيا، سينجح فيما أخفق فيه آدم. فمع أن آدم كان صورة الله، لكنه لم يَحكُم ملكوت الله كما كان ينبغي. وهكذا أيضًا الملوك في إسرائيل أو يهوذا. لكن أخيراً، هوذا رجل سيفعل ما لم يستطع أي ملك آخر فعله. فهو سيؤدي دور الحاكم الممثل لله، الملك الحقيقي. لكن كي يقيم يسوع مُلكه الكامل، كان ينبغي أن يكون أيضًا عبد الله الممثل لشعب الله، ممَّا يعني أنه كان ينبغي أن يتألم نيابة عنهم. وسنتطرق إلى هذا في النص التالي.

وأخيراً، أعلن يسوع: «فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِٱلْإِنْجِيلِ». بكلمات أخرى، كان الجزء الأخير من كرازة يسوع يحوي دعوة إلى العمل. لكنها لم تكن دعوة إلى العمل السياسي أو الحربي، كما توقع كثيرون من المسيا في زمانه. لكن في المقابل، كانت هذه دعوة إلى تنفيذ ما كان الله قد أوصى شعبه بفعله منذ البداية: كان عليهم أن يديروا ظهورهم للخطية، ويؤمنوا بصحة ما يقوله.

كانت هذه دعوة للشعب بأن يثقوا في أن الله سيتمم العهد — وأن الوسيلة التي بها يكونون أو يفعلون ما كان الله قد دعا الجنس البشري إلى أن يكونه أو يفعله لن تكون من خلال عملهم، بل من خلال الاتكال عليه. سيعمل يسوع، ممثل شعب الله، ما عجزوا هم عن فعله بأنفسهم — وقد دعاهم إلى الإيمان بأن الحدث يقع أخيراً. فقد أتت أخيراً الساعة التي لطالما انتظروها!

ربما لم تظن قط أنه من الممكن أن يزخر هذين العددين فقط بهذا القدر من الإثارة، أليس كذلك؟ لكن كما سنرى في محطتنا التالية، لم تأتِ هذه البشارة دون ثمن أو تكلفة.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الملكوت

العهد

الفداء

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وإن يسوع هو ذاك الذي من خلاله تتمَّم جميع هذه الوعود.

قَدْ أُكْمِلَ.

يوحنا ١٩: ٣٠

رأينا منذ البداية، في الأصحاح الثالث من سفر التكوين، كيف أخفق آدم وحواء في أن يطيعا الله، وفي المقابل أكلا من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر. وقد أفسد رفضهما أن يطيعا عند تلك الشجرة الشركة التي تمتعا بها مع الله، فتشوه جمال وكمال خليقته بصورة بشعة. لكن لم يكن هذا التشوه أمراً ميؤوسًا منه، بلا رجعة. فقبل حتى أن يبدأ آدم وحواء في إدراك الواقع الجديد لحياتهما تحت اللعنة، أعلن الله عن خطة في طور الإعداد، بأن يصنع كل شيء جديدًا مرة أخرى.

وبينما رأينا خطة الفداء هذه تتكشف تدريجيًا عند كل محطة في جولتنا عبر الكتاب المقدس، نصل الآن أخيراً إلى أوجها. ومرة أخرى،

نجد أنفسنا نرفع أعيننا نحو شجرة. ولكن، على خلاف تلك الشجرة الأولى في جنة عدن، لم يكن هناك ما هو لافت للنظر أو جذاب في هذه الشجرة. فقد جُرِّدت من أغصانها، وشُكِّلت في صورة صليب، كي يُستخدَم في عملية صلب، وهذه كانت الوسيلة المفضلة لدى الرومان لتنفيذ حكم إعدام في أسوأ المجرمين. فوق ذلك الصليب، عُلِّق الأقنوم الثاني في الثالوث، ابن الله نفسه، الذي صار إنسانًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كان الشخص الوحيد على الإطلاق الذي عاش حياة بريئة بالحقيقة معلَّقًا هناك، ينفذ فيه حكم الموت بأسوأ الوسائل الممكنة. ولكن، لم تكن هناك وسيلة أخرى. وحين سدد الابن ثمن الخطايا الذي لطالما كان شعب الله في حاجة إلى تسديده، قال: «قَدْ أُكْمِلَ»، ونكَّس رأسه، لا في استسلام، بل في نصرة (يوحنا ١٩: ٣٠).

بعد أن أعلن يسوع بشارة تتميم وعود الله، والمجيء الوشيك للملكوت، قضى حوالي ثلاث سنوات يعلِّم، ويكرز بهذه البشارة. وبصفته نسل المرأة الذي طال انتظاره، والذي سيسحق رأس الحية، هدم وخرَّب أعمال إبليس، وحارب اللعنة، بطرد الأرواح الشريرة، وشفاء المرضى، بل وإقامة الأموات. وبصفته نسل إبراهيم، جلب من جديد بركة حضور الله وسط شعبه. وفي بعض الأحيان، كما حين تكلم مع المرأة السامرية عند البئر (يوحنا ٤)، بدأ في جلب بركة إبراهيم هذه إلى جميع قبائل الأرض. وعلى خلاف جميع الآباء الذين سبقوه رجوعًا إلى آدم، حفظ يسوع العهد مع إسرائيل، أي شريعة الله، على نحو كامل. فقد فعل كلَّ ما كان الله قد طالب به شعبه.

لكن كانت هناك مشكلة. فبعد رجوع اليهود من سبي بابل إلى أرضهم، أعادوا بناء الهيكل، واستأنفوا نظام الذبائح. ومرة أخرى، سنويًّا، في عيد الفصح، كانت الحملان تقدَّم كبدلاء عن شعب الله. ومراراً وتكراراً، ذبح الكهنة الحملان كتذكرة بعدل الله ورحمته. لكن كانت الحملان لا تزال غير كافية لتسديد ثمن الخطايا.

رأينا في الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء أن البديل النهائي عن خطايا شعب الله لم يكن ممكنًا أن يكون حَمَلًا؛ بل كان ينبغي أن يكون واحدًا منهم. كان ينبغي أن يكون هذا هو الموعود به، الذي سيمثل الشعب، ويحل محلهم، بديلًا عنهم. ينبغي ألا نندهش حين نسمع يسوع يقول إن مهمته لم تكن أن "يُخدَم بل **يَخدم**". فقد كانت مهمته الرئيسية كعبد تقتضي أن «يَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٠: ٤٥). وحين قال يسوع ذلك، كان يشير إلى إشعياء ٥٣: ١١-١٢. كان هو هذا العبد. لم يكن عليه فقط أن يحفظ عهد الله على نحو كامل، حتى يعمل ما أخفق آدم، وإبراهيم، وإسرائيل، وكثيرون آخرون في فعله؛ لكن كان عليه أن يتقدم خطوة أبعد من هذا أيضًا. كان عليه أن يسدد العقوبة التي استحقها جميع هؤلاء، وعدد آخر لا يُحصى، عن خطاياهم.

ولهذا، ذهب يسوع إلى الصليب. بالنسبة لغالبية يهود القرن الأول، كان هذا الشيء صادمًا، بل وربما تجديفًا بحتًا. فقد قرأوا النبوات عن الممسوح من الله، المسيا، لكن قليلين جدًا منهم ربطوا بين الابن الملكي لداود والعبد المتألم. وبسبب هذا، لم تدر بخلدهم قط فكرة مسيا متألم.

فقد كان المسيا، كما ظنوا، سيدخل أورشليم، ملكًا فاتحًا ومنتصراً، ويطرد الرومان من المدينة. ثم سيمتلك أرض الموعد، ويعيد تثبيت كرسي داود، ويفتتح عصراً ذهبيًا جديدًا لإسرائيل.

وحين بدأت الشائعات تتناقل في ريف اليهودية حول مسيا محتمَل، اعتُبر أن الخطوة المنطقية التالية هي ثورة ضد روما. ففي النهاية، افترض الشعب أن الوسيلة الوحيدة التي كان يمكن ليسوع حقًا أن يُثبِت بها أنه هو المسيا هي هزيمة أعداء الله. فقد جرَّب قليلون آخرون ممن ادَّعوا أنهم المسيا هذا التكتيك، وحاولوا حشد جيوش لهزيمة روما؛ ولكن بلا استثناء، إما أنهم طُردوا من المدينة أو حُكم عليهم بالموت.

وبالتالي، فيما واصل يسوع خدمته، كان الجميع ينتظرون أن يخطو خطوته المنتظرة ضد روما. وأخيراً، ظن البعض منهم أن الوقت قد حان. فبعد رحلة يسوع الطويلة من مدينة الجليل، موضع ميلاده، دخل أورشليم في هيئة كانت تُعادِل في القديم موكبًا مَلَكيًا احتفاليًا. كان الشعب يقطعون سعوف النخيل من الأشجار ويلوِّحون بها، ويطرحون ثيابهم حرفيًا في الطريق ليمهدوا طريقًا ليسوع، صارخين: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ ٱلْآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ!». وفي كل عام، نتذكر هذا "الدخول الانتصاري" في يوم أحد السعف.

كان يسوع داخلًا أورشليم وفي ذهنه تحقيق نصرة بالفعل، لكن من المستبعَد أن يكون كثيرون من المحتفلين في ذلك اليوم قد فهموا ما كانت

نصرة يسوع ستتضمنه وتقتضيه. لم يحاول يسوع قط أن يهزم روما؛ لكن خلال الأسبوع الذي تلا هذا الدخول، دبَّر بعض قادة اليهود، مع يهوذا الإسخريوطي، أحد أتباع يسوع، مؤامرة لقتله. وبدأ يهوذا يبحث عن فرصة كي يتحيَّنها.

علم يسوع أنه كان متجهًا نحو الصليب. ولكن قبل ذهابه، أراد الاحتفال بوجبة عيد الفصح مع أتباعه الأقرب له. وقد اتَّبعوا النظام الطبيعي للأكل؛ لكن حين كسر يسوع خبز الفطير، قال شيئًا عجيبًا: "هَذَا هُوَ جَسَدِي" (مرقس ١٤: ٢٢). ثم، بينما كانوا يشربون من كأس الخمر معًا، قال: «هَذِهِ ٱلْكَأْسُ هِيَ ٱلْعَهْدُ ٱلْجَدِيدُ بِدَمِي ٱلَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ» (لوقا ٢٢: ٢٠). فقد كان يسوع يقول إن جسده المكسور ودمه المسفوك سيتمِّمان وعد العهد الجديد!

ثم بعد فترة قصيرة، رأى أولئك التلاميذ أنفسهم الثمن الرهيب الذي كان ينبغي تسديده. فقد تم إلقاء القبض على يسوع، وأُخذ إلى الصليب، وحُكم عليه بالموت مع اثنين آخرين من الإرهابيين السياسيين — ربما رجلين كانا ينتظران مسيا آخر على استعداد أن يحارب روما.

وفيما كان يسوع يتألم فوق ذلك الصليب، دون شك كان يعاني كربًا جسديًّا. لكن على الرغم مما قد تقودك الأفلام إلى تصديقه، لم يكن هذا الألم هو أشد آلامه. بل نتجت أشد آلامه عن انفصاله عن الله وهو حامل ثقل الخطايا. فبصفته العبد المتألم، كان هو البديل النهائي، والممثِّل،

الذي أخذ على عاتقه ثقل الخطايا، وغضب الله. وقد صرخ في كربه الروحي والوجداني بكلمات مزمور ٢٢: ١ "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (مرقس ١٥: ٣٤). لكن لم تكن هذه الكلمات هي كلماته الأخيرة من فوق الصليب:

فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ ٱلْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ ٱلرُّوحَ. (يوحنا ١٩: ٣٠)

وأخيراً، هوذا ذبيحة ستسدد ثمن الخطايا مرة واحدة وإلى الأبد. فطوال قرون وقرون، قدم شعب الله ذبائح كانت فقط تشير نحو المستقبل. لم تنهِ هذه الذبائح المهمة قط. ففي العام التالي، والشهر التالي، واليوم التالي، كان لا بد من تقديم ذبيحة أخرى. لكن ليس بعد الآن. ففيما اقتربت النهاية، وبالرغم من كرب يسوع وألمه، استطاع أن يقول في ثقة: «**قَدْ أُكْمِلَ**».

فحين قاسى الألم مع هذين المجرمين «جُعِلَ مَعَ ٱلْأَشْرَارِ قَبْرُهُ»، وحين دُفن في قبر يوسف الرامي الثري، جُعل «مَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ» (إشعياء ٥٣: ٩). ففي التفاصيل الكبرى والصغيرة، تمم يسوع على نحو كامل نبوات العبد المتألم.

وأخيراً، تحققت الرؤيا العجيبة التي أراها الله لإبراهيم منذ سنوات بعيدة، رؤيا الحيوانات المنقسمة. فقد تحمَّل الله نفسه، كما قال تمامًا،

العقوبة المستحَقة علينا جميعًا، نحن الذين نكسر شرائعه، ونتجاهل عهده. فقد سدَّد هو نفسه الثمن. ولاحقًا، كتب واحدٌ من تلاميذ يسوع، كان معه في تلك الليلة هذه الكلمات: «ٱلَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى ٱلْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ ٱلْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ» (١ بطرس ٢: ٢٤).

لكن لم تكن هذه نهاية القصة. فحتى بينما كان يسوع يصرخ في كرب شديد إذ تركه الله، كان يعلم نهاية المزمور الثاني والعشرين. فلاحقًا في هذا المزمور، الذي يبدأ بصرخة يأس وقنوط، كتب داود: «لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ ٱلْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ ٱسْتَمَعَ» (مزمور ٢٢: ٢٤). وإذ قد أُكمل، وتم تسديد ثمن الخطايا، هُزمت الحية، وأبيد سلطان الموت. وبعد ثلاثة أيام، رأي أتباع يسوع هذا بصورة مباشرة.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

البدلية

الفداء

العهد

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وإن يسوع هو ذاك الذي من خلاله تتمَّم جميع هذه الوعود، أولًا بموته كذبيحة لأجل الخطايا.

تَعَيَّنَ ٱبْنَ ٱللهِ بِقُوَّةٍ.

رومية ١: ٣-٤

قبل موت يسوع على الصليب بمئات السنوات، طرح الله على حزقيال النبي هذا السؤال: «أَتَحْيَا هَذِهِ ٱلْعِظَامُ؟» وكان ينبغي على الإجابة الأولى عن هذا السؤال — التي كانت نعم مدوية — أن تساعد شعب الله كي يدركوا أنه على الجانب الآخر من ظلمة الموت، هناك رجاء عظيم. ومع هذا، فيما كان اثنان من أتباع يسوع سائرين من أورشليم إلى عمواس، بعد ثلاثة أيام من صلبه، لم يبدُ أنهما استوعبا ذلك الرجاء. فقد قالا: «نَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لوقا ٢٤: ٢١). لكن بدا أن رجاءهما كان قد مات معه. لم يصرف هذان الرجلان وقتًا كي يسألا:

«أَتَحْيَا هَذِهِ ٱلْعِظَامُ؟» لكن في اليوم الثالث لرقاد يسوع في القبر، أعطانا الله الجواب القاطع على هذا السؤال.

ينتهي كلٌّ من إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا بالحدث نفسه: قيامة يسوع، وما أعقب ذلك على الفور. كان يسوع أول شخص هزم الموت حقًا. ولأجل هذا، لا بد أن نستنتج أنه بقيامة يسوع من الأموات، بدأ الله في تتميم وعود نهاية الزمان التي قطعها لحزقيال. ففي القيامة، وهب الله حياة جديدة للممثل الوحيد لشعبه، وفي أعقابه، يشترك جميع مَن يتحدون به في هذه الحياة. ولكن، كي نفهم ما حدث في قبر البستان هذا، لن نتوقف عند الأناجيل؛ بل سنحتاج أن نقفز إلى الأمام إلى رسائل بولس.

إن توقفتَ وفكرت في الأمر، ستجد أنه من اللافت للنظر أن يكتب بولس عن قيامة يسوع. فطوال العام أو العامين الأولين اللذين تليا موت يسوع وقيامته، قضى شاول الفريسي غالبية ساعات يومه في العمل على إبادة المجموعة الضئيلة الذين أُطلق عليهم لاحقًا مسيحيين. لكن التقى به يسوع بعد هذا في الطريق إلى دمشق، حيث خطط شاول أن يتربص بمجموعة من المسيحيين. ومن ذلك الوقت فصاعدًا، صار شاول، الذي تغيَّر اسمه إلى بولس، هو الأداة المختارة من الله لنقل البشارة إلى عالم البحر المتوسط بأكمله.

وبعد عدة عقود من التقاء بولس بيسوع على الطريق إلى دمشق، كان بولس يتأهب ليأخذ الإنجيل إلى اسبانيا، أي إلى الحافة الغربية لعالم البحر المتوسط. لكن كي يصل إلى هناك، كان يلزم أن يُرسَل من روما. ولهذا كتب إلى المسيحيين في روما كي يعرِّفهم بنفسه. وفي مقدمة رسالته، قدم وصفًا لاهوتيًا موجَزًا للعديد من المسارات التي تتقاطع معًا عند القيامة. فقال إن المسيا هو:

> ٱبْنِهِ [أي، ابن الله]. ٱلَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ٱبْنَ ٱللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ ٱلْقَدَاسَةِ، بِٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا. (رومية ١: ٣-٤)

يذكِّرنا بولس أولًا بأحد أسباب ضرورة قيامة يسوع من الأموات. فقد جاء يسوع "مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَسَدِ". كان هو الابن الملكي لداود، ووارث جميع المواعيد التي قطعها الله لداود. تَذكَّر أن أحد الوعود التي قطعها الله لداود هي: شأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ» (٢ صموئيل ٧: ١٣). بالتأكيد لم يكن ممكنًا أن ينطبق الوعد على يسوع إن لم يكن على قيد الحياة ليَملُك.

اختبر سليمان ابن داود وعدة ملوك آخرين في يهوذا عربون صغير مما قصده الله حين قال: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ٱبْنًا» (٢ صموئيل ٧: ١٤). لكن قبل مجيء يسوع، لم يختبر أيُّ ملك هذا

بشكل كامل. فقد ذاق جميع الملوك قبله تأديب الله حين أخفقوا في طاعته. لكن لم يخفق يسوع قط في الطاعة، بل حفظ العهد بالكامل، فأثبت أنه ابن الله بكل ما تعنيه هذه العبارة.

حتى إن كنت لا تعرفني، تستطيع أن تنظر إلى أبنائي الثلاثة وترى أن لهم البنية نفسها، والعيون نفسها، والشعر نفسه، وملامح الوجه نفسها التي لي. بكلمات أخرى، يمكنك أن ترى بوضوح أنهم أبنائي. إن كان هذا ينطبق على أبنائي، فكر كم بالحري ينبغي أن نتمكن من التعرُّف على الابن الكامل. إن كنا نعرف الآب، فلا بد أن نعرف الابن؛ لأن الابن، في حياته وسلوكه، كان يشبه الآب.

لكن بعد هذا، إن تابعنا القراءة في الأصحاح الأول من رسالة رومية، نجد بولس يضيف أن يسوع «تَعَيَّنَ ٱبْنَ ٱللهِ بِقُوَّةٍ ... بِٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ». ربما تفكر الآن هكذا: "انتظر لحظة — ألم يكن يسوع هو ابن الله منذ الأزل؟" أنت على حق تمامًا — كان يسوع، ولا يزال، الابن الأزلي لله، الأقنوم الثاني في الثالوث. من الضروري أن نفهم هذا جيدًا.

في القيامة، نرى الابن الأزلي لله يتعيَّن الابن المسياني لله علنًا، تمامًا كما كان داود أبوه. فقد كان تعيين الله داود ابنًا له يعني أن داود ونسله سيكونون أقرب حلفائه، الذين من خلالهم سيواصل خطته الخلاصية. وبالتالي، كما قد تتعرف على أبنائي لأنهم يشبهونني، ويتصرفون مثلي، هكذا يمكنك أن تتعرف على ابن الله لأنه يعمل ما يعمله الله. فهو ينجِّي شعب الله، ويخلِّصهم من الخطية والموت.

وبالتالي، كانت القيامة برهانًا على أن يسوع هو الابن الحقيقي لداود، والنسل الحقيقي للمرأة. في القيامة، تأكَّدت آلاف الوعود. فقد جاء الملك، وسدد الثمن ليفتدي شعبه، وخرج من الموت ظافراً. وبسبب هذا، أمكن أخيراً أن يقال عن ابن داود هذا أن كرسيه سيتثبَّت إلى الأبد!

في الجزء الخير من وصف بولس، نرى الدور الذي يلعبه الروح القدس في القيامة — تمامًا كما كشف الله لحزقيال: «مِنْ جِهَةِ رُوحِ ٱلْقُدَاسَةِ، بِٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ». كانت قيامة يسوع هي التتميم الأولي لوعد الله بأن ينفخ حياة جديدة في شعبه، ويَسكُب عليهم من روحه. ففي قيامة يسوع، وهب الروح القدس حياة جديدة للممثل الوحيد وبؤرة هذه الوعود.

كان موت يسوع وقيامته هما معًا نقطة التحول في التاريخ. كان لهذين الحدثين وثيقي الصلة ببعضهما تأثيرات كونية تنساب إلى كل زاوية وركن من وجودنا اليومي. ومع أننا نرى ذروة وعود الله الخلاصية في يسوع، القائم من الأموات، الابن الممسوح لداود، لكننا نعلم أيضًا أن تلك الوعود لم تتوقف عند يسوع؛ بل لم تكن قيامته سوى البداية.

لا يتوقف غالبية الناس للتفكير في أنه كان أمراً صادمًا على أتباع يسوع أن يروا قيامته دون أن يروا أيضًا تغيير الخليقة وتجديد كل شيء، كما تقول النبوة في الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء. فقد

توقعوا حدوث كل شيء في الحال؛ لكن نستطيع أن نرى الآن أن هذه الوعود لا تزال تتحقق على مراحل عبر الزمن. يقال كثيراً إن هذه الوعود تشبه إلى حد ما النظر إلى مجموعة جبال من مسافة بعيدة. فحين تقترب أكثر من الجبال، تكتشف أن ما يشبه جبلًا واحدًا من مسافة عدة أميال هو فعليًا مجموعة من قمم أصغر تؤدي إلى النقطة الأعلى. هكذا أيضًا، ما بدا من منظور قراء العهد القديم وكأنه حدث واحد للزمان الأخير كان فعليًا مجموعة من قمم جبال. وكانت القمة الأولى، تلك التي تجعل بقية القمم ممكنة، هو موت يسوع وقيامته.

يعني هذا أن موت يسوع وقيامته قد بدآ وافتتحا تتميم نهاية الزمان لوعود الله الخلاصية. ربما تسمع اللاهوتيين يتحدثون أحيانًا عن مصطلح "الإسخاتولوجي المُبتدَأ". يصف هؤلاء بالتحديد ما نتحدث عنه هنا؛ ويقصدون به ببساطة أن يسوع قد بدأ بالفعل في تتميم كل ما وجهنا العهد القديم إليه. فقد شكَّل موته وقيامته الضربة القاضية للخطية والموت، وبهما سحق رأس الحية.

ليس هذا فحسب، بل ستذهب بشارة نصرته على الخطية والموت إلى الأمم؛ وبهذا، تصل بركة إبراهيم إلى جميع قبائل الأرض. ففي حفظ المسيح للعهد على نحو كامل في حياته وموته كذبيحة، تمَّم كل ما كان يراد بالناموس أن يتممه. وهو الآن يملك باعتباره الملك الداودي، نسل يهوذا المكرَّم بين الأمم. ولهذا استطاع بولس أن يقول في رسالة أخرى:

«إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ[١٥]» (٢ كورنثوس ٥: ١٧). فعل يسوع كل ما يلزم كي تأتي هذه الخليقة الجديدة.

وفي حين حقق موت يسوع وقيامته النصرة التي طال انتظارها على اللعنة، لكن يتم تذكيرنا باستمرار بأن نتائج السقوط لا تزال موجودة بكثرة في وسطنا. فحتى بينما أكتب هذه الكلمات، أسمع صافرات الإنذار في الخارج. ففي مكان ما خارج منزلي، أحدهم مريض، أو يتألم، أو يحتضر.

منذ فترة ليست طويلة، شاهدتُ مقطعًا مصوَّرًا على موقع "يوتيوب" (YouTube) لرأس ثعبان مقطوعة؛ كان الأمر فظيعًا بالفعل بقدر ما يبدو. وحين اقترب الرجل حامل الكاميرا بشكل زائد عن الحد، اندفعت الرأس نحوه، وحاولت أن تقضمه! على ما يبدو، تملك بعض الثعابين حسَّاس حرارة في فكها، وتظل هذه الآلية الدفاعية تعمل لعدة ساعات بعد موتها. وإن لم تحترس، يمكن لهذا أن يؤدي إلى نتائج مميتة. مؤخراً، كان أحد الطهاة في الصين يصنع حساء حاملًا ثعبان الكوبرا الباصق (لا أوصي بتجربة هذا في المنزل). فقد قطع رأس الثعبان، واستمر في إعداد الوجبة. لكن بعد عشرين دقيقة، حين ذهب ليلقيها في القمامة، قضمته الرأس المقطوعة، ومات. فحتى رأس ثعبان ميت يمكن أن تظل تسبِّب بعض الضرر والأذى! هكذا أيضًا، قد حُسم **بالفعل** أمر انتصار يسوع على الخطية، ومسألة خليقته الجديدة، لكننا لا نرى **بعد** نتائج هذا كاملة.

[١٥] المترجم: بحسب ترجمة NIV الإنجليزية: «فقد أتت الخليقة الجديدة».

بعد قيامة يسوع من القبر، لم يرجع إلى أورشليم ليثأر من الرومان وقادة اليهود، بل ظهر في هدوء لأتباعه، وعلَّمهم دلالة ومعنى قيامته — أن الله يهب حياة للأموات والعظام اليابسة. وقد انضمَّ إلى هذين التابعين في طريقهم إلى عمواس، وساعدهما حتى يدركا كيف تشير جميع وعود الله وقصة الكتاب المقدس بأكملها إليه، وأنه كان ينبغي أن يموت المسيا ويقوم ثانية لأجل شعبه، وأن الخليقة الجديدة قد صارت حقيقة. ثم بعد قيامة يسوع من الأموات بأربعين يومًا، صعد إلى السماء.

لكن بعد هذا بوقت قصير، كما نكتشف من سفر أعمال الرسل، أرسل يسوع الروح القدس كي يظل يهب الحياة من بين الأموات. وقد دعا شعبه إلى أن ينشروا هذه الرسالة الخلاصية إلى الأمم، ويجمعوا شعبًا من كل أنحاء الأرض، حتى يختبروا بركة إبراهيم. ولهذا، في شجرتنا التالية، سنتقدَّم إلى الأمام بضعة أصحاحات في رسالة رومية، ونفصِّل هذه الرسالة الخلاصية، وبعض تطبيقاتها، قبل أن نبلغ أخيراً النهاية المجيدة لرحلتنا.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

ابن (داود)
الروح القدس
الخليقة الجديدة
الملكوت

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وإن يسوع هو ذاك الذي من خلاله تتمَّم جميع هذه الوعود، أولًا بموته كذبيحة لأجل الخطايا، ثم بقيامته الانتصارية، وحكمه كملك.

لِيَكُونَ بَاراً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ.

رومية ٣: ٢١-٢٦

مع الاعتذار لأصدقائي من علماء الأشجار الذين يقرأون هذا الكتاب، أرى أنَّ غالبية الأشجار مضجرة بشكل كبيرٍ. فإن غالبيتها متطابقٌ أساسًا: كلها لها جذع، وبعض الأغصان، وأوراق، وربما بعض الثمار وهذا كلُّ شيء. وفي حين استخدمتُ طوال هذا الكتاب تشبيه "الغابة والأشجار"، لكنني لم أحاول المبالغة فيه بتشبيه تكوين ٣: ١٥ بشجرة التفاح، ومرقس ١: ١٥ بالنخلة. فإن الشجرة شجرةٌ.

لكن هناك نوع من الأشجار أجده بالفعل مثيراً للاهتمام بشكل كبير. فإن شجرة البانيان هي واحدة من **أعقد** — وقد استخدمت كلمة أعقد ربما لعدم وجود كلمة أفضل — الأشجار التي رأيتها على الإطلاق.

تبدأ شجرة البانيان في الظهور حين تقع بذار بانيان على غصن نوع آخر من الأشجار، حينئذ تَنبُت، وتبدأ في التفرُّع إلى جميع الاتجاهات. وبمجرد وصول جذور الشجرة إلى الأرض، تغرس نفسها في التربة بنظام جذور جديد تمامًا، متداخلة مع جذور أشجار بانيان أخرى. وبمرور الوقت، تلتفُّ الجذور حول بعضها البعض، وتزداد نموًا أكثر فأكثر، إذ تنمو معًا. النتيجة النهائية لهذا هي مجموعة معقَّدة من الجذور المتَّصلة ببعضها البعض، في كلٍّ من داخل التربة وخارجها. في واقع الأمر، إن استطعتَ يومًا الذهاب إلى مدينة لاهاينا، أو ماوي، ابحث هناك عن شجرة بانيان واحدة، نمت لتغطِّي أكثر من نصف فدان من الأرض. هذا مذهلٌ للغاية.

الشجرة التالية التي سنمر بها في أثناء تَناوُلنا لغابة قصة الكتاب المقدس تشبه نوعًا ما شجرة بانيان. يحوي الملخَّص القصير لرسالة الإنجيل، الذي قدَّمه بولس في الأصحاح الثالث من رسالة رومية، مجموعة من الجذور المتداخلة معًا والمتصلة ببعضها البعض، والتي نمت معًا لتكوِّن شجرة واحدة:

> وَأَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ ٱللهِ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ، بِرُّ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ ٱلْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ ٱللهِ، مُتَبَرِّرِينَ

مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ. (رومية ٣: ٢١-٢٦)

سيلزمنا في هذا الفصل أن نستكشف التصريحات الرئيسية الواردة في هذا الملخَّص المجيد. انتبهوا معي الآن جيدًا.

«وَأَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ ٱللهِ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ ...»

بعد أن أوضح بولس الحاجة إلى المسيح في الجزء الأول من هذه الرسالة، بدأ ملخَّصه هذا عن البشارة السارة بالتأكيد على أن برَّ الله — وبالأخص كما هو مستعلَن في حياة يسوع، وموته، وقيامته — قد ظهر بدون الناموس واشتراطاته. ومع ذلك، يشهد العهد القديم بأكمله (كان تعبير «ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ» بالنسبة لبولس وسيلة شائعة للإشارة إلى العهد القديم) عن بر الله.

«... بِرُّ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذْ ٱلْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ ٱللهِ، مُتَبَرَّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ ...»

وتحسبًا لأن يسيء أحدهم فهم هذا، شدَّد بولس على أنَّ بر الله الذي يقصده هنا كان هو البر الذي يأتي إلى شعب الله بالإيمان بيسوع المسيح. فحين تضع رجاءك في يسوع المسيح باعتباره البديل الوحيد عن خطاياك، وترتمي عليه، يُعلِن الله في برٍّ وعدلٍ أنك "غير مذنب"، ويرحِّب بك في ملكوته. لا تنسَ تاريخ إسرائيل، وتبدأ في الاعتقاد بأنك تستطيع بطريقة ما أن تحل مشكلة خطاياك أو خطايا أي شخص آخر. تحتاج إلى بديلٍ كي يقوم بهذا عنك!

إن الحاجة إلى بديل هي حاجة عامة. رأينا هذا في سفر الخروج، حين كان كلٌّ من بني إسرائيل والمصريين تحت دينونة الله. فإن **الجميع** أخطأوا — يهودًا وأممًا، أغنياء وفقراء، مثقفين وغير مثقفين، رجالًا ونساءً وأطفالًا. لا أحد يفلت من اللعنة، والجميع يسلبون من الله المجد الذي يستحقه كخالقنا وملكنا.

يعني هذا أن البشر يتبرَّرون — أي يعلَن كونهم أبراراً أمام الله — فقط بنعمة الله. لم يربح إبراهيم بجهده الحق بأن يكون أبًا لنسل الموعد. ولم يهرب بنو إسرائيل من مصر لأنهم كانوا أفضل كثيراً من المصريين. كما لم يستحق داود إحسان الله ورضاه عنه حين وعده الله بعرشٍ أبدي. هكذا أيضًا، لا نستحق أنا أو أنت أو أي إنسان تعرفه رضا الله وإحسانه. فإن نعمته هي هكذا دون سبب — نعمة وإحسان غير مُستحَق. فإن لطف الله في قصة الكتاب المقدس مذهلٌ!

«... بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلْإِيمَانِ بِدَمِهِ».

هذا التبرير، كما يوضح بولس، أساسُه عمل المسيا، يسوع. فهو يفدينا بدمه. فقد اشترت خراف الفصح خلاص إسرائيل حتى لا يضطروا لمواجهة الدينونة التي استحقوها، لكن تلك الذبائح لم تكن فعالة بصورة نهائية. وكما رأينا في الفصل الثالث عشر، جاء يسوع كي يُكمِل ويُنهي تلك الذبائح، ويسدد الدين الذي كنا ندين به جميعًا.

يطلق بولس على هذا التسديد اسم "الكفارة" أو "الاسترضاء" (propitiation). تشير هذه الكلمة اللاهوتية ببساطة إلى شيء ما — أو شخص ما — يسترضي أو يهدئ الغضب البار لله. في حين لا يحب كثيرون الحديث عن غضب الله، لكننا لا نستطيع فعليًا تفاديه دون أن نشوِّه بهذا رسالة الكتاب المقدس. فإن الخطية ليست مجرد عقبة ثانوية، بل إننا حين نخطئ، فإننا نلوح بقبضتنا في وجه الإله الذي خلقنا، مخبرين إياه بأننا نَشُك في صلاحه، ولا نؤمن بأنه محل ثقة. وإن جزءًا من بر الله هو غضبه تجاه هذه الإهانة. وحين نضع خطايانا في حجمها الصحيح، يصير الله غير بار إن لم يدِنها.

إننا ندرك جيدًا الحاجة إلى تطبيق العدالة على أسوأ الجرائم. ففي عالمنا هذا، صار النازيون مجرد كليشيه عفا عليه الزمن، لكن الحقيقة هي أنهم قتلوا ما يزيد عن ستة مليون شخص. ومن شهر نوفمبر من عام

١٩٤٥ م. وحتى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٦ م.، عقدت قوات التحالف مجموعة من المحاكم العسكرية لإدانة مجرمي الحرب النازية على دورهم في هذه الإبادة الجماعيّة البشعة. وفي أثناء هذه المحاكمات، صدر الحُكم بالإعدام على اثني عشرة شخص من القادة النازيين البارزين. لكن تَخيَّل معي أنَّ قوات التحالف اتخذت قراراً ببساطة بالعفو عن العقول المدبرة لموت الكثيرين، وفتح صفحة جديدة معهم، والسماح لهم بالتجول أحراراً دون أن يجنوا أية عواقب. من شأن هذا أن يُعَد بمثابة مهزلة! هكذا أيضًا، حين نفهم بشكل صحيح طبيعة خطايانا التي ارتكبناها في حق الله، نرى أنه لا يمكن إزاحتها وإخفاؤها تحت البساط وكأنها غير موجودة.

لا يشابه الغضب البار لله دخول أحدنا في نوبة غضب لأن الأمور لم تسِر كما أراد. دعونا لا نرتكب خطأ بالظن بأن الله مثلنا. لكن في المقابل، فكِّر في شعورك حين ترى ظلمًا لا ريبَ فيه، أو تسمع عن استغلالٍ للأطفال. فإن شيئًا ما يثور في داخلك، ويقول: "ليس من المفترض أن يكون الوضع هكذا!" حين نتحدى الإله الذي خلقنا كي نحبَّه، ونَعبده، ونحيا معه، فإن استجابته العادلة والسليمة الوحيدة هو الغضب ضد خيانتنا وجورنا. وبالتالي، بمعزل عن ذبيحة الحمل الكامل، العبد المتألم، كان الله سيصبح ظالمًا إن قَبِلنا.

«لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ ٱلإِيمَانِ بِيَسُوعَ».

وهكذا، يستنتج بولس أن موت يسوع كان ضروريًا بصورة مطلقة حتى يقبلنا الله ويظل مع هذا باراً بالحقيقة.

كان بإمكان الله أن يدين في الحال وبصورة نهائية جميع الخطايا التي ارتُكبت منذ جنة عدن وحتى صليب المسيح. والحقيقة هي أن الله كان من شأنه أن يكون باراً تمامًا إن قَضَى عليك، وأرسلك إلى الجحيم في اللحظة التي فيها حسدتَ قريبك، أو اشتهيتَ زميلتك في العمل، أو شككتَ في لطفه من نحوك. لكنه في "إمهاله الإلهي"، لم ينهِ أمرك في الحال. ولهذا استطاع بولس أن يقول في الأصحاح السابق لهذا من رسالة رومية إن «لُطْفَ ٱللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ» (رومية ٢: ٤). فإن عامًا بعد الآخر، وذبيحة بعد الأخرى، كان الله في طول أناة يتجاهل الخطايا.

لكن، كي يكون الله باراً أو عادلًا، كان لا بد لشخص ما أن يسدِّد ثمن هذه الخطايا. والآن، في حقبة بعد الصليب، استطعنا أن نرى مَن هو هذا الشخص. فقد سدَّد يسوع الثمن الذي كنا نستحقه عن خطايانا. وبسبب هذا، يستطيع الله بالحقيقة أن يغفر لنا دون أي تلطيخ لطبيعته أو إثارة شعور بالظلم.

حقًا، نستحق جميعًا الموت دون رحمة. لكن الله، الذي هو غني في الرحمة، قد كشف عن خطة الفداء المذهلة. وبواسطة يسوع، هزم الخطية والموت بصورة قاطعة، وأعادنا إلى ما خُلقنا لأجله: السكنى مع الله إلى الأبد في العالم الذي خلقه لمجده. إلى هنا كانت القصة تتجه طوال الوقت: إلى الرجوع إلى المكانة التي خُلقنا كي نحياها، إلى الفردوس، إلى محضر الله إلى الأبد.

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الفداء

الخطية

الدينونة

البدلية

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وإن يسوع هو ذاك الذي من خلاله تتمَّم جميع هذه الوعود، أولًا بموته كذبيحة كثمن ضروري وعادل لأجل الخطايا، ثم بقيامته الانتصارية، وحكمه كملك.

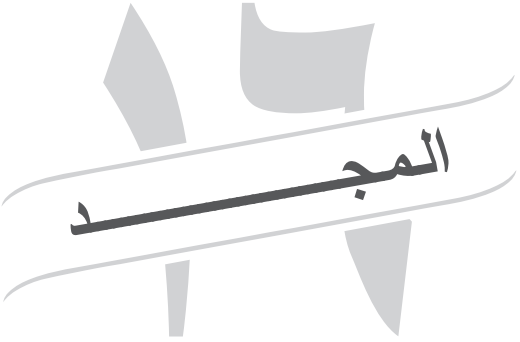

هُوَذَا مَسْكَنُ ٱللهِ مَعَ ٱلنَّاسِ.

رؤيا ٢١: ١-٤

لم يَمُر الكثير بعد أن بدأنا في التفكير في الله وخليقته الحسنة جدًا حتى بدا وكأنَّ مشكلة الخطية والموت قد اصطحبتنا في الحال إلى منعطفٍ. لكن أرجو أن تكون قد أدركتَ بعد أن نظرنا إلى الماضي ورأينا قصة الخلاص المذهلة التي تتبَّعناها معًا، أن هذا لم يكن منعطفًا. فمنذ البداية، كان قصد الله هو أن نرى مجده في خطته المذهلة بأن يخلِّص خطاة غير مستحقين؛ ومنذ البداية، عزم الله على أن يرسل ابنه كي يموت عن الأثمة. فإن مواعيد العهد القديم، وذبائح الناموس، وكل ما تكلم به الأنبياء مثل إشعياء، وحزقيال؛ بالإضافة إلى كل شيء آخر في العهد القديم، يُتمَّم في يسوع. فهو قد جاء كي يتمم عنا ما لم نتمكن

قط من فعله بأنفسنا؛ ونتيجة لهذا، غلب مشكلة الخطية والموت، وسحق رأس الحية.

لكن لم تنتهِ القصة من ألفي عام. فقد دُعينا أنا وأنت كي نكون جزءًا منها! فبعد أربعين يومًا من قيامة يسوع من الأموات، صعد إلى السماء. ثم بعد هذا انطلقت البشارة عن يسوع، نسل المرأة، الملك ابن داود، من أورشليم، وابتدأت في الانتشار في كل أنحاء العالم. ومنذ ذلك الحين، هي آخذة في الانتشار. ومنذ القيامة وحتى المجيء الثاني للمسيح، تتواصل هذه القصة المذهلة كلما ذهب الإنجيل إلى موضع جديد. ونحن مدعوون إلى أن نذيع بشارة خطة الله للخلاص للمحيطين بنا، الذين يتألمون، ولا يزالون ضالين في الخطية والموت.

ولكن، لن يستمر الحال هكذا إلى الأبد. فإن العهد الجديد مليء بوعود تقول إن يسوع «سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى ٱلسَّمَاءِ» (أعمال الرسل ١: ١١)، كما أخبر الملاكان التلاميذ الذين كانوا يشاهدون يسوع صاعدًا إلى السماء. فإن يسوع آتٍ ثانية!

يختلف الكثير من المؤمنين حول تفاصيل مجيء المسيح ثانية، لكنهم يتفقون جميعًا على أنه حين يأتي، سيحيا شعبه معه إلى الأبد. ويتفقون جميعهم معًا على أنه حين يأتي، ستنهزم الخطية والموت هزيمة تامة ونهائية، وسيواجه إبليس وجميع أتباعه العواقب العادلة لتمردهم على الله وخيانتهم له. وهكذا أيضًا مَن يستمرون في التلويح بقبضتهم

في وجه الله، غير مؤمنين به، وغير واثقين في كفايته حقًا. إلا أن من يرتمون على يسوع سيسكنون معه إلى الأبد في الخليقة الجديدة، التي سبق فتحدثنا عنها في سفر إشعياء.

في حين قدم لنا الأصحاح الخامس والستون من سفر إشعياء اللمحة الأولى عن تلك الأيام، لكننا نجد ذروة تلك الرؤيا في السفر الأخير من الكتاب المقدس، أي سفر الرؤيا. وفينا ننهي رحلتنا، لنقضِ بضعة لحظات كي نبتهج بما ينتظرنا. فإن شعب الله سيسكنون أخيراً مع الله، دون أن تُفسدهم الخطية والموت، ودون أن يعذِّبهم الهم والألم، ودون أن يثير قلقهم إن كانوا يستطيعون نوال رضا الله أم لا، أو كيفية هذا. فإن شعب الله سيسكنون معه تحت الحكم الكامل للمسيح:

> ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ ٱلسَّمَاءَ ٱلأُولَى وَٱلأَرْضَ ٱلأُولَى مَضَتَا، وَٱلْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ ٱلْمَدِينَةَ ٱلْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ ٱلْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ ٱللهِ مَعَ ٱلنَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَٱللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ ٱللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَٱلْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ ٱلأُمُورَ ٱلأُولَى قَدْ مَضَتْ». (رؤيا ٢١: ١-٤)

في هذه الرؤيا، رأى يوحنا سماءً جديدة وأرضًا جديدة — أي خليقة جديدة. لنحسِم هذه المسألة الآن: لن تكون السماء أبدية من السأم، والجلوس فوق السحب، والعزف على القيثارات بلا هدف. فكلما قرأتُ الكتاب المقدس، ازدادت قناعتي بأن السماء ستكون "ذات طابع أرضي". فهي ستكون موضعًا نابضًا بالحياة، ومليئًا بالفرح، حيث تشترك جميع حواسنا بالكامل. في المرة التالية التي تشاهد فيها مشهد غروب الشمس الرائع، أو جبلًا مغطى بالثلوج، تذكَّر فقط أن هناك خليقة جديدة عتيدة أن تأتي. وإلى أن نصير هناك، لن نفهم بالحقيقة ما يعنيه أن نسكن في خليقة الله، وأن نتمتع بها بالحقيقة.

أيضًا ستكون الخليقة الجديدة موضعًا حيث سيزول الخطر، والخوف، والقلق إلى الأبد — وهذا ما قصده يوحنا بعبارة "اَلْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ". كنت أعيش فيما سبق في جزر هاواي؛ وبالتالي، حين يعلَم غالبية أصدقائي هناك أنه لن يوجد بحر في الخليقة الجديدة، ينتابهم القلق قليلًا! كيف عسانا أن نتمتع حقًا بهذه الخليقة دون ركوب الأمواج، أو الغطس، أو السباحة؟

إن كنت تفكر هكذا، دعني أحاول أن أسكِّن قلقك. في العالم القديم، لم تكن رياضات الماء معروفة. وحتى من بين القليلين الذين أتيح لهم الوقت فعليًا لممارسة رياضات ترفيهية، كان قليلون جدًا يتَّجهون إلى المياه. لكن في المقابل، كان البحر يمثِّل، بالنسبة للغالبية، الخطر

والمجهول. وبالتالي، بدلًا من أن يفكِّر قرّاء رؤيا يوحنا في كل المرح الذي سيفوتهم دون وجود محيط يلهون فيه، فكَّروا في كلِّ الخطر المحتمَل الذي سينجون منه بغياب بحر يثير قلقهم. وإننا ندرك هذا في الجزء الأخير من النص: «سَيَمْسَحُ ٱللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَٱلْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ ٱلْأُمُورَ ٱلْأُولَى قَدْ مَضَتْ».

فإن "ٱلْأُمُورَ ٱلْأُولَى"، أي جميع الآثار الجانبية للخطية والموت، ستمضي. ستُسحَق اللعنة دون رجعة، وسنختبر ما ابتدأ آدم وحواء في تَذوُّقه في البدء في جنة عدن.

لاحظ أيضًا أننا سنسكُن في "ٱلْمَدِينَةَ ٱلْمُقَدَّسَةَ، أُورُشَلِيمَ ٱلْجَدِيدَةَ". هل تتذكَّر كيف اعتبر إشعياء الخليقة الجديدة وأورشليم الجديدة كلمتين تشيران إلى الشيء ذاته؟ وقد حذا يوحنا حذوه هنا، معتبراً كليهما متطابقين. يبدو أن الله إذن كان يأخذ نواة الوعد، ويضاعفها أضعافًا مضاعفة.

إن توقفنا للتفكير في هذا، نجده أمراً مذهلًا للغاية، بل ويوجز فعليًا الكيفية التي رأينا الله يعمل بها طوال الكتاب المقدس. فقد شملت الوعود التي قُطعت لإبراهيم الوعد بمباركة جميع قبائل الأرض. وفي حين لم يغب عن أنظارنا قط هذا الوعد العالمي، لكن ضاق نطاق نسل الموعد إلى أمة واحدة، ثم إلى عائلة واحدة، وفي النهاية إلى شخص واحد. لكننا أخيراً نرى نطاق الوعد العالمي الذي قطعه الله كاملًا هنا في سفر الرؤيا.

وبالتالي، من المنطقي أنَّ أورشليم، أي المدينة التي فيها سكن شعب الله، والأهم، التي فيها سكن حضور الله، ستملأ يومًا ما الأرض كلها، لأننا نرى أن مسكن الله سيكون مع الناس بشكل دائم (عدد ٣). لم يكن المراد قط من وعود الله أن تكون لأمة واحدة أو لجماعة عرقية واحدة. وكما رأى يوحنا سابقًا في سفر الرؤيا، إن حمل الله قد اشترى وافتدى شعب الله «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (رؤيا ٥: ٩).

وإذ سيسكن الله هناك، وسيزول كل تهديد أنشأته الخطية، ستكون هذه الخليقة الجديدة أبعد من كلِّ تصَوُّرنا. فهي بالتأكيد لن تكون مضجِرة، بل ستكون جميلة، «كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا». إن كنتَ زوجًا، فستعلَم أنك، في تلك اللحظات التي رأيت فيها عروسك تتقدم إليك في ممر الكنيسة، لم تستطع التفكير في وجود ما هو أروع من هذا.

هكذا أيضًا سيكون اختبارنا في الخليقة الجديدة مبهِجًا، وإن كنا نحن العروس، وليس العريس. وبسبب عمل يسوع، مسيَّانا وملكنا، سنحيا أخيراً كما أراد الله، تحت حُكمه الكامل، في الموضع الذي أعدَّه لنا؛ وسنسكن معه إلى الأبد. هنا، وأخيراً، ستشهد العهود التي قُطعت مع إبراهيم، ويهوذا، وإسرائيل، وداود تتميمها، حين يَملُك النسل الملوكي إلى الأبد على شعب الله المفدي.

طوال هذا الكاتب، استخدمنا الصورة البلاغية عن غابة وأشجار. ويمكننا في حقيقة الأمر أن نوجز قصة الكتاب المقدس بالنظر إلى

ثلاث شجرات حقيقية. رأينا في الأصحاح الثالث من سفر التكوين أن آدم وحواء قد أخطآ حين أخذا من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر. وقد أغرق هذا العالم في الخطية والموت. لكن ابتدأ الله في العمل على الفور كي يُرسِل نسل المرأة ليبطِل اللعنة. وكما علمنا من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا، فعل يسوع هذا، وسدد الثمن عن الخطية نهائيًّا، حين أسلم جسده فوق شجرة الجلجثة. وأخيراً، هنا في سفر الرؤيا، نجد شجرة ثالثة.

إن واصلنا القراءة في سفر الرؤيا، نجد شجرة الحياة مزروعة في وسط هذه المدينة. فإن نهراً خارجًا من عرش الله نفسه هو الذي يغذي هذه الشجرة، وهي تعطي حياة للأمم (رؤيا ٢٢: ١-٢). وكما كان الحال في البدء، سيظل شعب الله معتمدين عليه دائمًا من جهة حياتهم. لكننا رأينا أنه دائمًا جدير بالثقة في أن يعطينا ما نحتاجه. وطوال الأبدية، سنختبر فرح وضع ثقتنا فيه، والأخذ منه. هذا هو ما خُلقنا لأجله — أن نحيا ونستمتع بحضور الله الواهب الحياة.

وهكذا، ليست هذه القصة مجرد قصة نجلس ونقرأها على مسامع أطفالنا. بل هي قصة دُعينا أنا وأنت إلى الانضمام إليها. قال يسوع: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا» (رؤيا ٢١: ٥). وفي الوقت الحالي، هو يخلق مخلوقات جديدة، حين يضع المزيد والمزيد من البشر في جميع أنحاء العالم رجاءهم فيه، باعتباره مخلِّصهم الوحيد. وهو يدعونا إلى

المناداة بتلك البشارة السارة إلى هذا العالم، الذي لا يزال يتألم ويقاسي في الخطية والموت. فإننا قد نلنا فرح رؤية الله عاملًا كي يُبطِل اللعنة ويغلب الحية. ويتحتم علينا أن نعلن البشارة السارة لنصرة يسوع، وندعو أقرباءنا وأصدقائنا إلى ترك خطاياهم، والإيمان به وحده بديلًا ومخلِّصًا لهم. وبالتالي، ضع هذا الكتاب من يديك الآن، وابدأ العمل — فقد دعاك الله للانضمام إلى هذه الإرسالية!

أفكار رئيسية في اللاهوت الكتابي

الخليقة الجديدة

الملكوت

العهد

النسل

القصة حتى الآن

خلق الله ملكوتًا، وهو الملك، لكنه خلق البشر كي يمثلوه في ذلك الملكوت. رفض آدم وحواء هذه الدعوة، مما أدى إلى الخطية والموت. لكن وعد الله بأن يهزم الحية من خلال نسل المرأة، الذي هو أيضًا نسل إبراهيم. ومن خلال بيت إبراهيم، وبالتحديد النسل الملكي ليهوذا، أي داود، ستأتي بركات العهد إلى العالم. ولأن الجميع كانوا مذنبين واستحقوا الموت، كشفت ذبائح الناموس الموسوي بأكثر وضوح عن حاجتهم إلى بديل — هو العبد المتألم. ومن خلال هذا العبد وعمل الروح القدس، سيؤسس الله عهدًا جديدًا، ويهب شعبه حياة أبدية في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وإن يسوع هو ذاك الذي من خلاله تتمَّم جميع هذه الوعود، أولًا بموته كذبيحة، كثمن ضروري وعادل لأجل الخطايا، ثم بقيامته الانتصارية، وحكمه كملك. تصل هذه القصة العظيمة إلى ذروتها حين يجتمع المفديُّون من كل قبيلة، ولسان، وأمة معًا في الخليقة الجديدة كي يَسكُنوا مع الله إلى الأبد.

مـاذا بعـد؟

سواء كنتَ تقرأ الكتاب المقدس طوال حياتك، أو فقط فتحتَه للمرة الأولى بينما كنتَ تقرأ هذا الكتاب، أرجو أن تكون قد استوعبتَ بشكل أفضل القصة ككلٍّ، ووحدة كلمة الله. أرجو أيضًا ألا يكون هذا الكتاب قد قضى على رغبتك في تَعلُّم اللاهوت الكتابي. وأتمنَّى أن تكون في هذا المرحلة تطرح هذا السؤال: ماذا عليَّ أن أقرأ بعد هذا؟

ابدأ بقراءة كتابك المقدس. حاول الانتهاء من قراءته مرة سنويًّا. حين تفعل هذا واضعًا هذه القصة في اعتبارك، ستبدأ في إنشاء روابط بينه وبين ما قرأتَه هنا (أو تصحيحات له!). وستكتشف أنني أغفلتُ الكثير من أجزاء القصة.

بعد الكتاب المقدس، دعني أوصي بقراءة فقط ثلاثة كتب. وستوجهك هذه الكتب إلى كتب أخرى، وهكذا:

- Graeme Goldsworthy, *According to Plan: The Unfolding Revelation of God in the Bible* (IVP Academic, 2002), 251 pages.

سيقدم لك جولدزوورثي صورة أكثر اكتمالًا لقصة الكتاب المقدس، وسيساعدك على ملء الفراغات التي توجَّب على نظرتنا العامة الموجزة عن الكتاب المقدس إغفالها.

- Michael Lawrence, *Biblical Theology in the Life of the Church: A Guide for Ministry* (Crossway, 2010), 240 pages.

سيساعدك لورانس على أن تفهم بشكل أفضل كيف تتوافق دراسة اللاهوت الكتابي مع الدراسات اللاهوتية الأخرى؛ والأهم من هذا أنه سيساعدك على رؤية الدور الحيوي الذي يلعبه اللاهوت الكتابي في حياتك وفي خدمتك في الكنيسة.

- Thomas R. Schreiner, *The King in His Beauty: A Biblical Theology of the Old and New Testaments* (Baker Academic, 2013), 736 pages.

تستطيع أن ترى من عدد صفحات هذا الكتاب أنه ليس للمتراخين أو الكسالى — لكنه جديرٌ بالعناء. سيصطحبك اللاهوت الكتابي بحسب شراينر في جولة عبر الكتاب المقدس سفراً سفراً، مفصِّلًا ومستكشفًا القصة التي تتكشف تدريجيًّا، ومساعدًا إياك على أن ترى بشكل تام كلًا من الأجزاء والكلَّ. وبما أن هذا الكتاب يسير بالترتيب عبر الكتاب المقدس، أشير عليك أن تحاول قراءته جنبًا إلى جنب مع كتابك المقدس مرة سنويًّا.

١٦ آية مفتاحيّة، وقصة واحدة جامعة.

يسلِّط هذا الكتاب الضوء على ستة عشر نصًا كتابيًا مفتاحيًا، جميعها بمثابة "نقاط تحول" في القصة الكتابية — ممكِّنًا إيانا من رؤية الخطة المذهلة التي وضعها الله كي يفتدي شعبه، ويمجِّد اسمه، من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا. وسواء كان هذا الكتاب يستكشف قصة خلق البشر، أو قطع العهود، أو مجيء المسيا، فإنه سيساعد المؤمنين على إدراك كيف أن كلمة الله تروي قصة واحدة عن سيادته، ومجده، ونعمته.

"هذا الكتاب الموجَز والثاقب مثاليٌّ للتلمذة الفردية، وأيضًا لسياقات تعليمية رسمية بدرجة أكبر. سيجد فيه جميع المؤمنين، سواء كانوا ناضجين أو حديثي الإيمان، الكثير للتأمل، والابتهاج، فيما يرسم برونو بأمانة صورة لقصة الفداء."
توماس آر. شرينر، أستاذ تفسير العهد الجديد في منصب جيمس بوكانان هاريسون، كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية.

"كي نفهم كتابنا المقدس، نحتاج أن نفهم القصة الكبرى لخطة الله للفداء. يركِّز برونو على ستة عشر نصًا مفتاحيًا، كي يمدّنا بمخطط عام واضح وسهل الفهم لهذه القصة الكبرى. أوصي بشدة بقراءة هذا الكتاب."
دوجلاس جي. موو، رئيس قسم الدراسات الكتابية، بجامعة ويتون.

"يتتبّع كريس برونو قصة الكتاب المقدس في ستة عشر نصًا قصيرًا. يُعَد كل نص حيويًا لفهم القصة التي تتكشّف تدريجيًا؛ لكن القصة أيضًا أعظم من إجمالي أجزائها. وحين نرى الأجزاء معًا، تصير الصورة المتراكمة مثيرة وفاتنة."
جاسون سي. ماير، راعي الكنيسة للوعظ وطرح الرؤيا، كنيسة بيت لحم المعمدانية، مدينة مينيابوليس، ولاية مينيسوتا.

كريس برونو (حاصل على درجة الدكتوراه PhD، من جامعة ويتون)، هو أستاذ العهد الجديد واللاهوت الكتابي في جامعة نورثلاند الدولية، بمدينة دانبار، ولاية ويسكونسن. وقد خدم فيما سبق كمدير تنفيذي وعميد للشئون الأكاديمية بكلية لاهوت أنطاكية، في هاواي. اشترك (مع مات دريكس) في تأليف كتاب: "Churches Partnering Together".

CROSSWAY